مدخل إلى قلب حواء

obeikan.com

obeikan.com

إعداد
ماجد سليمان دودين

مدخل إلى قلب حواء

obeikan.com

دار الحضارة

جميع حقوق الطبع محفوظة

الايداع القانوني: 2002-1515

ردمك: 3-97-907-9961

دار الحضارة

ص ب 04 بئرالتوتة / الجزائر

هاتف / فاكس: 41 34 44 (021)

obeikan.com

• بسم الله الرحمن الرحيم •

تمهيد

قبل بضعة أيام التقى بي أحد الصُحُفيّين ودار بيننا حوار طويل حول الحياة وغاياتهاومفاهيمها وأسرارها وسألني :

«ما هو تعريفك للحياة ؟» فأجبته باختصار وقلت له :

«الحياة عبارة عن رجل وامرأة .. (رجل + امرأة = حياة) وما عداهما خُلِقَ لهما ومن أَجلهما وهما خُلِقا لهدف أسمى يتجاوز الماديات وينطلق إلى عالم الروح كي تكون الإطار والخيط العام الذي يقودنا إلى الحقيقة التي تكون الحياة بدونها عبثاً وجنوناً وتعاسة وشقاء ..

وسألني : «لماذا كتبت معظم كتبك للمرأة وعن المرأة ؟

فأجبته : «أنا رجلٌ يرفض أن يكون من المنافقين.. إنّ المرأة بالنسبة لي أهَمّ من الاكسجين لأنّها الأم ولأنها الأخت ولأنّها الزوجة ولأنّها البنت.. إنها نصف المجتمع.. إنها تمثل الاسم والرمز واللحن والوطن والحب والنغم والشجن والمودّة والرحمة والسكَن والخير والجمال والصورة والفكرة والنظرة والقلب والعقل والضمير.. إنها شريكة العمر ورفيقة الدرب وحبيبة القلب.. إنها تمثل النقاء والصفاء والحياء والعطاء والوفاء ولكن لا يغيبُن عن بالك أن الاكسجين على نوعين : نوع نقي ونوع ملوّث وأنا عندما أقول إن المرأة هي الاكسجين الذي أتنفسّه فانني أعني المرأة النقيّة التقيّة الصالحة المؤمنة العفيفة الشريفة الطاهرة أي الاكسجين النقيّ النافع وليس الاكسجين الملوّث الضار ولعل هذا الصنف هو الذي عناه «سقراط» عندما قال : «إن وجود المرأة هو أكبر منشأومصدر للأزمة والانحياء في

العالم إن المرأة تشبهُ شجرة مسمومة» ظاهرها جميل ولكنّ العصافير تموت عندما تأكل منها» .

واستمرّ الحوار وسألني الصُحفي عن الحياة الزوجية فقلت له : «إن الحياة الزوجية مملكة ايمانيّة.. الرجل هو ملكها والمرأة ملكتها.. والأبناء هُمُ الرعيّة.. الرجل ملكها وربانها ومسيّر دفّة أمورها لأنّ له القِوامة وهي التكليف والمسؤولية والأمانة.. والمرأة ملكتها لأنها شريكة الحياة وشقيقة الرجل وقرّة العين.. ونتيجة التفاعل والاتحاد والسكن والمودة والرحمة واللباس بين الزوجين والتماس بين الشريكين تكون الثمرة الطيبّة المباركة.. فلذات الأكباد الرعيّة الحبيبة إلى الزوجين وزينة الحياة للأبويْن وحلقة الوصل المؤدية إلى تمتين الأواصر والوشائج بين الحبيبين.. بين قُطبَي مملكة الخير والسعادة والتقوى ..

الملك – الزوج – والملكة – الزوجة – والأبناء – الرعيّة – يشكّلون جميعاً الأسرة التي هي حجر الزاوية والخليّة الحيّة واللبنة الأساس لبناء أمّة الخيريّة ذات الرسالة الخالدة إلى خلق اللّه قاطبة ..

وفي خاتمة الحوار طلبَ الصحفيّ منّي كخبير في المرأة وشؤونها أنْ أقدّم وصفة تشمل المداخل إلى قلب حواء فقلت له :

إنّ حواء عالمٌ قائم بذاته ودنيا حافلة بألوان من المشاعر.. إنها تُشْبهُ البحر المملوء بالأسرار ولذلك سأكتب كتاباً يتحدث بإيجاز عن المداخل إلى قلبها.. آملاً أن يحالفني النجاح فالحقيقة العلمية تقول : إن الأرض تدور حول الشمس.. والحقيقة الحياتية تقول : إنّ الرجل يدور في فلك المرأة لأنها الجزء الروحي الجميل المُكمّلُ لدورة حياته على كل صعيد.. ولأنّ العلاقة بينهما علاقة تكامل واقتران وانتماء واتحاد والوضع الطبيعي أن تكون العلاقة علاقة انسجام ووئام لا علاقة تنافر أو خصام.. ومنطق الأمور أن تكون العلاقة علاقة حب لا حرب .

وهكذا كانت فكرة وبذرة هذا الكتاب الذي أرجو أن ينال الاعجاب وأن يحتوي على الصواب وأن يفتح للخير كل الأبواب .

ماجد سليمان دودين

الصفات المرغوبة في الزَوْجَين

في هذا الفصل سأتحدث عن الصفات المرغوبة في الزوجين وهذه الصفات يشترك فيها الرجال والنساء على حدٍ سواء فهي مداخل إلى قلب المرأة ومداخل إلى قلب الرجل .

إنّ غاية الزواج تتحقق بقيام رابطة روحية، هي الحبّ الذي يولدّه الجذب بين الجنسين لاستمرار الحياة في الأخلاق ولا يكون ذلك إلاّ بتوافر صفات خَلقيّة وأُخرى خُلُقية في الزوجين .

❑ الصفات الخَلْقيـّة المرغوبة في الزوجين

أولاً - الشباب

يرغب الرجل في المرأة الشابّة الفتيّة، وترغب المرأة في الشاب القوي، لتقوم الغريزة بأكمل وظائفها في الاستخلاف واستمرار الحياة .

وتبدو هذه الظاهرة في ايثار المرأة للشباب القويّ، أكثر ما يكون، في الشعوب البدائية. ففيها تختار المرأة من بين المتنافسين عليها الأقوى ليكون زوجاً لها. والقوّة في هذه الشعوب هي الوصف الوحيد لكفاءة الزوج .

وفي أخبار العرب القدامى شواهد كثيرة على ايثار المرأة الشابّ ذا البأس والقوّة، على الشيخ مهما علا مقامه بين قومه فقد روى ابن قتيبة أن الحارث بن سليل الأسدي خطب إلى علقمة ابن حَصَفَة ابنته الزبّاء، وكان الحارث شيخاً والزبّاء

شابّة فتيّة. فقال علقمة لزوجته : إن الحارث بن سليل، سيّد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً، وقد خطب إلينا الزبّاء، فلا ينصرفّن إلاّ بحاجته، فأريدي ابنتك على نفسها (أي احملي ابنتك على قبوله زوجاً)، فدخلت الأم على ابنتها وقالت لها : أيّ الرجال أحبّ اليك، الكهل الجحجاح «السيّد الكريم»، الواصل المنّاح، أم الفتى الوضّاح، الذهّول الطمّاح(١) ؟ فقالت يا أمّاه : إنّ الفتاة تحبّ الفتى كحبّ الرّعاء(٢) أنيق الكلا .

فقالت : يا أماه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي ويبلي شبابي ويشمت أترابي. فلم تزل أمّها حتى غلبتها على رأيها. فتزوّج الحارث بها، ثم رحل إلى قومه فإنه لجالس ذات يوم بفناء مظلته وهي إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون «يتصارعون» فتنفّست، ثم بكت : فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ، النّاهضين كالفروخ ؟ «أي ضعاف كالفِراخ» فقال : أما وأبيك، لربّ غارة شهدتها، وسُبيّة أردتها وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك لا حاجة لي فيك(٣) .

في هذا المشهد وما دار فيه من حوار بين زوجة يافعة، غضّة الشباب، وزوج عجوز، نرى الغريزة المكبوتة تنطلق مع حسرات مشبوبة، أثارها صراع فتيان أقوياء، إلى جانب شيخ فنيت قواه، وغرب شبابه، ولم يُغنها إعتزازه بأيامه الخالية، وما كان عليه من قوّة وبأس أيام كان فارس غارات ومُرْدِف سبيّات، فقد مضى شفيعه عند الغواني، وفي ذلك يقول الشاعر :

كفاك بالشيب ذنباً عند غانية

وبالشباب شفيعاً أيّها الرجل

وها هي فتاة أُخرى ترفض شيخا تقدّم لخطبتها ويردّه أبوها ويقول :

قالت سليمى : إنني لا أبغيه

---

١) الذهول : الرجل يسلو امرأته وينساها، والطمّاح : الرجل يتحوّل نظره عن امرأته إلى غيرها من النساء (لسان العرب : ذهل ، طمح) .

٢) الرّعاء الماشية الراعية .

٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤٧/٤ - ٤٨

أراه شيخاً ذرئت مجاليه(١)

يبغي الغواني والغواني تقليه

وقد يتزوج الرجل وهو مسنّ، امرأة فتيّة جميلة، ويشعر بظلمه لها فيطلقها إشفاقاً عليها لتتزوج من رجل فيه قوّة وشباب، فقد روى ابن كثير أنّ معاوية بن أبي سفيان زوج ابنته هنداً من عبد الله بن عامر بن كريز الأموي، وكان عامله على العراق والمشرق، فنظر عامر يوماً في المرآة فرأى شيبة لحيته، ثم نظر إلى زوجته، فلم يشأ أن يظلم شبابها فطلّقها وبعث إلى أبيها أن يزوّجها من شاب(٢) .

وكانت المرأة إذا خطبت أرسلت من تكشف لها عن ظاهرة القوّة لدى خاطبها، من ذلك ما فعلت الخنساء بنت عمرو بن الحارث لما خطبها دريد بن الصمّة، فإنها أرسلت جاريتها وقالت لها : انظري إذا بال، فإن وجدتِ بوله خرق الأرض ففيه بقيّة، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه(٣) .

ويبدو أنّ قوّة الرجل تثير أنوثة المرأة بمقدار ما يثير الرجل ويجذبه لين المرأة وتثنيّها .

وكما ترغب المرأة في الشاب القوي، يرغب الشاب في المرأة الفتيّة، لتوافق الغريزة في الجنسين ويزهد في المرأة المسنّة، فلم تعد سهام لحاظها قاتلة مهما تزيّنت وتصابت، فقد ولّى شبابها وجفّ ماء صباها .

وإذا كان الشاب عنصراً أساسياً في الزواج، فإنّ تكافؤ السنّ يبدو ضرورياً. غير أن الفقهاء لم يجعلوا من تكافؤ السنّ شرطاً لازماً في عقد الزواج كبقيّة عناصر الكفاءة، بل وجدوا أن الرجل متى توفرت فيه كفاءة النسب والمال والمهنة، وما يقرره الشرع والعرف من عناصر أخرى، أضحى أهلاً للزواج من المرأة ولو كان بينهما تفاوت كبير في السنّ ونحن نرى أنّ مراعاة التقارب في السنّ بين الزوجين أمر

---

١) ذرئت مجاليه : أي ابيضّت مجاليه، والمجالي شعر مقدّم الرأس .

٢) البداية والنهاية ٨٨/٨

٣) الأغاني ١١/٨ .

يقتضيه احترام الطبيعة الإنسانية في المرأة، وهو مستمد من روح الشريعة الإسلامية. فالمرأة مخلوق مكرّم كالرجل، وبهذا تكون مساوية له في الإحساس الإنساني، وفي الكرامة الإنسانية، وليس من الشرع في شيء إهمال هذا الإحساس والإعراض عنه، واعتبارها مخلوق لإمتاع الرجل، متى توافرت له سبل الاستمتاع بها، دون اعتبار لإحساسها الإنساني وكرامتها الإنسانية. فإذا ما فُرِضَ على المرأة الشّابة - إكراهاً أو إغراء - أن تقترن برجل مسنّ تأباه طبيعتها وينفر منه إحساسها، فذلك قتل لها .

لذلك لا بدّ من وضع معيار موضوعي لضبط تناسب السنّ، يُراعى فيه الجانب الإنساني لحماية المرأة من استغلال صباها، لينعم به من فني صباه وذوى شبابه باسم زواج وهي أقرب إلى البيع، لأنّه يتم على أساس الثمن المدفوع .

ثانياً - الجمال

تختلف معايير الجمال عند الشعوب، فما يكون عند البعض حُسْناً، يكون عند البعض قُبْحاً. ومهما اختلفت معايير الجمال، فإنّه قُوّة تجذب الرجل إلى المرأة التي تتحلىّ به .

والعربي ولوع بالمرأة، شديد الإحساس بجمالها، وكان يستهلّ شعره بوصفها والحنين إليها، ثم ينتقل إلى الغرض الذي أنشأ شعره من أجله .

والجمال كما هو مرغوب في المرأة مرغوب في الرجل، فالمرأة تكره من الرجل ما يكره منها، فكما يحبّ أن تكون زوجته وسيمة وجميلة، تحبّ المرأة أن يكون زوجها وسيماً جميلاً. فالجمال كالشباب كلاهما يثير الجذب في الجنسَيْن .

والقبح مكروه في الجنسين وهو يباعد بينهما، فالمرأة تكره الرجل القبيح وتنفر منه، وخاصّة إذا كانت شابة، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: لا تكرِهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهنّ يحببن ما تحبّون. وقد أكرهت فتاتان من بني جعفر بن كلاب على الزواج من أخوين قبيحين، دفعا فيهما مهراً غالياً،

فقالت إحداهنّ :

ألا يا بنت الأخيار من آل جعفر

لقد ساقنا من حيّنا هجمتاهما(١)

أسيود مثل الهرّ لا درّ درّه

وآخر مثل القرد، لا حبّذاهما

يشينان وجه الأرض إن مشيا بها

ونخزي إذا قيل : من قيّماهما(٢)

ويندب رجل شبابه الذاوي، ونفور الحسان منه بعد أن كان في شبابه مكينا لديهنّ فيقول :

تمنيّت لو عاد شرخ الشباب

ومن ذا على الدهر يُعطَى المُنى ؟

وكنت مكيناً لدى الغانيات

فلا شيء عندي لها ممكنا

فأما الحسان فيأبينني

وأما القباح فآبي أنا

وبهذا أخلص إلى القول أن الشباب والجمال من المداخل إلى قلب المرأة كما أنها في ذات الوقت من المداخل إلى قلب الرجل وهما - الشباب والجمال - من الصفات الخَلْقيّة .

❑ الصّفَات الخُلُقية المطلوبة في الزَّوْجَين

إذا كان الشباب والجمال من الصفات المرغوبة في الرجل والمرأة فإنهما لا يغنيان عن صفات أخرى مطلوبة فيهما هي الأساس في الحياة الزوجية. وكان

---

١) هجمتاهما : مثنى هجمة، وهي القطعة من الابل ما بين السبعين إلى المائة .

٢) القيّم : من أسماء الزوج .

حكماء العرب يخشون الجمال الفائق إذا لم يكن مصوناً بخلق قويم، فقد شاور رجل حكيماً في الزواج، فقال له : افعل ولكن اياك والجمال الفائق فإنه مرعى أنيق، فقال ما نبهتني إلا عما أطلب، فقال : أما سمعت قول القائل :

ولن تصادف مرعى مرعاً أبداً

إلاّ وجدت به آثار منتج

ويروى عن النبي «ﷺ» قوله تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك (تعبير يستعمله العرب بمعنى لله درّك)، وذات الدين هي المرأة الصالحة، ذات الخلق الكريم، يزينها أدب وحياء، ويحليها فهم وذكاء. وتخيّر مثل هذه المرأة يعدّ أجمل إحسان الأب لأولاده الذين أنجبتهم، وبها يمنّ عليهم، وفي ذلك يقول أب لبنيه :

وأوّل إحساني إليكم تخيّري

لماجدة الأعراق باد عفافها

وكان العرب ينظرون إلى الأم والأب، إذا خطبوا امرأة، ويقولون إنها تجرّ بأحدهما، فإن المرأة غالباً ما تلد على مثالهما، زيناً أو شيناً. وكان من عادة العرب أن البنت إذا نبتت في بيت كريم أن تخلو الأم بابنتها قبل تحوّلها إلى بيت زوجها وتبيّن لها ما ينبغي أن تكون عليه من خلق في معاملة زوجها. من ذلك أن عمرو بن حجر الكندي لما خطب ابنة عوف بن محلمّ الشيّباني، خلت بها أمّها قبل أن تزفّ إليه وقالت لها : (أي بنيّة، أنتِ فارقت بيتك الذي خرجت منه، وعشّك الذي درجت فيه إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمَة يكن لك عبداً. واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً، أمّا الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة. وأمّا الثالثة والرابعة فالتفقّد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ منك إلا رائحة طيب. وأمّا الخامسة والسادسة، فالتفقّد لوقت نومه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. وأما السابعة والثامنة فالإحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير،

وفي العيال حسن التدبير، وأمّا التاسعة والعاشرة فلا تعصّين له أمراً، ولا تفشين له سرّاً، فإنك إن خالفت له أمراً أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره. ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهمّاً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً) . فهذه هي أخلاق المرأة العربية المرغوبة. فإذا ما اقترن هذا الخلق بجمال المرأة فهي المرأة الكاملة، ومثلها يندر في النساء .

وإلى جانب المرأة المهذّبة الطيّعة، توجد المرأة الذئرة المعاندة، وقد جمع أعرابي وصفها حين سئل عنها فقال :

(سليطة اللسان، كأنّ لسانها حربة. كلامها وعيد، وصوتها شديد. تدفن الحسنات وتفشي السيّآت. تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن أمسكها كانت عليه مصيبة. سعفاء ورهاء (حمقاء – خرقاء – لا تحسن عملاً)، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء، تأكل لمّا (أي تلقم الطعام فتأتي عليه) وتوسع ذماً. صخوب غضوب، بذيّة دنيّة ليس تطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها. حنيقة الباع، مهتوكة القناع. صبيّها مهزول، وبيتها مزبول (قذر)، إذا حدّثت تشير بالأصابع، وتبكي في المجامع. بادية من حجابها، نبّاحة على بابها. تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة. قد ذلّ لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور) .

فهذه المرأة مهما بلغت من علوّ النسب وروعة الجمال، لا يهنأ معها عيش، ولا يسود البيت الزوجي لا صفاء ولا وئام، ومثلها مثل تلك الزوجه التي سئل عنها زوجها فقال :

يقولون في البيت لي نعجة

وفي البيت لو يعلمون النُّمِر

ومع ذلك فقد يكون جمال الزوجة، عند بعض الأزواج شنيعاً لسوءخلقها، فيحتمله الزوج ويصبر عليه شغفاً بها. فقد روي أنّ في نساء بني تميم جمالاً، وكان لهنّ خطوة عند أزواجهنّ على سوء خلقهنّ، ومنهنّ أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله

التيّمي، فقد تزوجت الحسن بن علي بن أبي طالب، وكانت ربّما حملت وولدت وهي مصارمة له لا تكلّمه. ومثلها أختها عائشة بنت طلحة وكانت رائعة الجمال كأمثالها من بنات قومها، فقد تزوجّها مصعب بن الزبير، وأتاها في يوم وهي نائمة متصبحة ومعه ثماني حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار، فنثر اللؤلؤ في حجرها، فقالت : نومتي كانت أحب إليّ من هذا اللؤلؤ. ومثل هاتين ابنة أخيهما أم سلمة بنت محمد بن طلحة اليتمي، فقد تزوجت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة، وتغلظ له، وكان يفرق منها ولا يخالفها، فرأى يوماً منها طيب نفس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها : يا بنت محمد قد أحرق قلبي والله.. وقبل أن يتمّ كلامه، حددّت فيه نظرها، وجمعت وجهها وقالت له : أحرق قلبك ماذا ؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها : سوء خلقك، فقال لها : حبّ أبي بكر الصديق، فأمسكت عنه .

على أنّ مثل هذا الخلق إنما كان من قبيل الذّل المعتصم بالجمال، فإن استذلّ له الزوج أمعنت الزوجة فيه وطغت. وقد كان من الأمّهات من تعلم بناتها اختبار الأزواج، فكانت الأم تقول لابنتها :

اختبري زوجك قبل الإقدام عليه، فانزعي زجّ رمحه، فإن سكت فاقلعي سنانه (السنان : سهام الرمح)، فإن سكت فقطّعي اللحم على ترسه، فإن سكت فكسري العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه، فإنما هو حمارك .

وقد وضع العرب لمثل هؤلاء النسوة أسماء ابتدعوها من حشيّ الكلام مثل : العنقفير، العنجرد، الحجرش، الجردحلة، الدّقنس، الطعثنّة، الجعماء الجلفرين، الجلنغة، وغيرها من الأسماء التي تدل على المرأة الحمقاء، البلهاء، الهوجاء، السليطة اللسان، البذيئة القول، وبالجملة السيئة الخلق. وفي الحق، إنّ في النساء من يصحّ فيهنّ قول الشاعر :

إن النساء رياحين خلقن لنا

والنساء ليسوا سواء

فـــمنهنّ جنّات يفيء ظلالهـــا

ومنهنّ مـــيـــزان لهنّ وقُـــود

أمّا الصفات الممدوحة في الرجل، فهي في الجاهلية : الكرم والشجاعة والحلم. وقد عبّرت عن هذه الصفات امرأة بني زياد بن الحارث فقالت :

فـــلا تـأمـــرني بالتـــزوّج إنـني

أريد كـــرام القـــوم أو ابتـــتّل

أريد فـــتى لا يملأ الهـــول صـــدره

يريح عليـــه حلمـــه حين يجـــهل

وعبرت عنه إمراة من باهلة فقالت :

أحب الفـتى ينفي الفـواحش سـمـعـه

كـأنّ به عن كل فـاحـشـة وقـرا

سليم دواعي الصـدر لا باسطاً أدبي

ولا مـانعاً خـيـراً ولا قـائلاً هجـرا

وفي الإسلام أضيفت إلى هذه الصفات الدين والعقل، وجعلت هي الأساس، فالزوج التّقي العاقل إن أحب زوجته أكرمها، وإن أبغضها لا يظلمها، وقد قيل للحسن بن علي : فلان خطب إلينا فلانة، قال : أموسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم. قال : فزوّجوه، والعاقل المقل من مال خير من غنّي مقل من عقل، فقد روى الأصمعي أن رجلين خطبا ابنته، وكان أحدهما مقلاً من مال، ولكنّه عاقل، والآخر من مال ولكنّه أحمق، فشاور أبوها رجلاً يقال له أبو زيد، فقال له لا تزوج إلا عاقلاً ديّناً، فإن لم يكرمها لا يظلمها، ثم شاور رجلاً يقال له أبو العلاء، فقال له : زوّجها لمكثر من مال، فإنّ ماله لها، وحمقه على نفسه، فزوّجه فلقى منه ما يكره في نفسه وفي ابنته، فقال :

ألهـــفي إذا عـــصـــيت أبا يزيد

ولـهـــفي إذا أطعت أبا عـــلاء

وكـــانت هفـــوةً من غـــيـــر ربح

وكـــانت زلقـــةً من غـــيـــر مـــاء

والعرب تقول الأزواج ثلاثة : زوج مهر - وزوج بهر - وزوج دهر. فأما زوج مهر، فرجل لا شرف له، يُسني المهر ليُرغب فيه. وأما زوج بهر، فرجل شريف لكنه قليل المال، تتزوجه المرأة لتفخر به. وأما زوج دهر، فهو الرجل الكفء للمرأة، تتزوجه لتعيش معه الدهر .

وكان الأصمعي يقول : النساء أربعة

فمنهن معمع (المرأة المستبدة بمالها لا تواسي زوجها منه)، لها شيئها أجمع

ومنهنّ صدع، تفرّق ولا تجمع

ومنهنّ تُبع، تضرّ ولا تنفع

ومنهن غيث وقع ببلد فأمرع

ونقل صاحب الأمالي قول شيخ من بني العنبر، قال : النساء ثلاث، والرجال ثلاثة. فالنساء منهُن : هيّنة ليّنة، عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش، ولا تعين العيش على أهلها .

وآخرى وعاء للولد، وآخرى غلّ قمل، يضع الله في عنق من يشاء .

والرجال منهم : لين عفيف مسلم، يصدر الأمور مصادرها، ويوردها موارِدها .

وآخر ينتهي إلى رأي ذي اللبّ والمقدرة، فيؤخذ بقوله، وينتهي إلى أمره، وآخر حائر بائر، لا يأتمر لرشد، ولا يطيع المرشد .

حقوق وواجبات الزوجين

تقوم حقوق الزوجين وواجباتهما في الإسلام على أساس من المودة والرحمة، كما قال الله تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنَّ في ذلك لأيات لقوم يتفكّرون﴾. وقد ربط الإسلام بين الزوجين برباط المحبّة، يضمّهما كما يضمّ اللباس الجسد فيكون كل منهما لباساً للآخر وفي ذلك يقول تعالى : ﴿هُنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾. ولم يذكر الله الحب ولم يجعله رباطاً، بل ذكر المودة والرحمة وجعلها الرّباط، لأن الحب نزوة جسدية تسبّبها الشهوة، ولا يصلح أساسا لدوام العشرة، وغالباً ما تنطفىء جذوته بعد الزواج، فهو ليس من عناصر الثبات في الحياة الزوجية، فكم رأينا رباطاً قام على الحبّ ثم ما لبث أن تراخى وانتهى بالفراق. أمّا المودة والرحمة فهما رباط روحي، منهما تنشأ المحبّة لتلائم بين جسدين تعدّهما لحياة مستقرّة ومستمرّة، ومشاركة في إنشاء أسرة، وقد روي أن عمر بن الخطاب قال لرجل هم بطلاق زوجته : لم تطلقها ؟ قال : لا أحبها. فقال له عمر : أوَكلّ البيوت بنيت على الحب، أين الرعاية والتذمّ ؟ ومن خلال مركز كل من الزوجين وطبيعة تكوينه، قرر الإسلام حقوق وواجبات كل منهما نحو الآخر فمن حقّ المرأة على الرجل أن يرفق بها وأن يلطف لها القول، فهي لقوة انفعالها مرهفة الحسّ، لذلك أطلق النبي على النساء اسم (القوارير) وهي تسمية مجازية تقال على تشبيه المرأة بالزجاجة الرقيقة هينة الكسر، فكان يقول : (رفقاً بالقوارير). وقد سوّى النبي «ﷺ» بالرفق بين المرأة واليتيم فقال : (اللهم إني أحرج حقّ الضعيفين : اليتيم والمرأة).

ومن حسن المعاشرة بسط الوجه وطرح التكلف وبذل الدعابة. فقد روي أن النبي «ﷺ» كان يسابق عائشة في العدو فتسبقه، وقد سبقها في بعض الأيام، فقال لها : هذه بتلك .

❑ حقوق حواء على آدم :

ومن حق المرأة على زوجها أن ينفق عليها وألا يقتر إذا كان ذا طول وإقتدار، فالمرأة تحبّ المال لتنفقه في زينتها وفي كل ما يجلو محاسنها لتسرّ زوجها بالنظر إليها. وقد عبّر ابن عربي عن حبّ المرأة للمال حين سأل عن حاله مع أهله، فقال :

إذا رأت أهل بيتي الكيس ممتلئاً
تبسمت ودنت منّي تمازحني
وإن رأته خالياً من دراهمه
تجهمّت وانثنت عنّي تقابحني

ومن حقّ المرأة على زوجها أيضاً ألاّ يبالغ في إساءة الظنّ بها وتتبّع عوراتها (سيئاتها) فقد نهى النبي «ﷺ» عن تتبع عورات النساء ونهى أيضا عن الشدة في الغيرة ففي حديث النبي «ﷺ» : (إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عزّ وجلّ، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة) .

وعلى الرجل ألاّ يهين امرأته بشتم أو ضرب. أما ما جاء في القرآن الكريم عن ضرب المرأة، فذلك له خبر، وهو أن نساء الأنصار كان فيهنّ جرأة على أزواجهنّ، فلما قدم المهاجرون إلى المدينة تزوّجوا من نسائها، فلم يحتملوا جرأتهنّ عليهم، فكان الرجل إذا اجترأت زوجته عليه لطمها، فاشتكت امرأة إلى النبي «ﷺ» من لطمة زوجها، فنهى النبي «ﷺ» عن ضرب النساء وقال : (لا تضربوا إماء الله)، ثم جاءته امرأة أخرى تشكو زوجها، وقد ضربها ضرباً شديداً، فأنكر ذلك رسول الله «ص» وقال : يظلّ أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد، ثم يظلّ يعانقها ولا يستحي. وقد أطمع نهي الرسول «ﷺ» عن ضرب النساء فتطاولن على أزواجهن، وأمعنّ في

التطاول، فأقبل عمر بن الخطاب إلى الرسول «ﷺ» فقال : يا رسول الله إن النساء قد ذئرن (الذائر : الاجتراء) على أزواجهنّ، قال : فاضربوهنّ. ويروي الإمام الزهري أن الرسول «ﷺ» أصبح بعد هذه الإجازة فوجد عند بابه سبعين امرأة يشتكين أزواجهنّ، فقال : لا تحسبوا الذين يضربون نساءهم خياركم، وهمٌ يمنح النساء حق الاقتصاص من أزواجهن. وعندئذ نزلت الآية ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، واللاّتي تخافون نشوزهنّ فعظوهن واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾ (النساء ٣٤). وهنا جاء حكم الضرب من السماء ليكون أشد ردعاً وأقوى أثراً وهو حكم تأديبي مخصوص بفئة من النساء، أطمعهن نهي الرسول عن ضربهن فأمعن في معاندة أزواجهن وفي التطاول عليهم، مما لم يألفه الرجل من المهاجرين. وقد ميّزت الآية بين النساء الصالحات، المطيعات لأزواجهن الحافظات لأنفسهنّ في غيابهم بكل ما أمر الله من الحفظ فمثلهنّ مكرمات ومصونات، وبين النساء الناشزات الذائرات العاصيات لأزواجهن، فمن كانت امرأته على مثل هذ الخلق السيء فعليه أن يبدأها بالوعظ، فإذا لم تنته فعليه أن يهجرها وألا يمسّها، فإذا أمعنت في الكيد وأبت أن ترعى حق زوجها عليها وأعرضت عن نصحه ولم تبال بهجره فله أن يؤدبها بالضرب غير المبرح، على أن يتجنب الوجه، وألا يفضي الضرب إلى الإيذاء. ولا يجوز للرجل أن يلجأ إلى الضرب إلا بعد أن يستنفذ الوسائل الاخرى من نصح وهجر .

ولم يعرف عن النبي «ﷺ» أنه ضرب امرأة ولا خادماً، بل كان يحتمل ذأر بعض زوجاته واعتصابهنّ عليه، فلا يكلمنه، حتى إن عائشة كانت تقول له إذا كانت غضبى منه : أنت الذي تزعم أنك نبي ؟ فيبتسم ويحتمل منها ذلك حلماً وكرماً. وهذا عمر على شدّة وقاره وهيبته، كانت نساؤه يجترئن عليه فقد روى الإمام السيوطي أن جابر بن عبد الله الأنصاري جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من نسائه، فقال عمر : إنّا لنجد ذلك، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي : ما تذهب إلاّ إلى فتيات فلان تنظر إليهنّ. وكان النبي «ﷺ» يكفيه من وعظ نسائه العتب الرقيق، والتلميح بما ساء منهن، من ذلك أنه كان يقول لعائشة : إنني أعلم إذا كنت راضية

عني، وإذا كنت غضبى، فقال : كيف ؟ قال : إذا كنت راضية عني قلت : لا وربّ محمد ؛ وإذا كنت علي غضبى قلت : لا وربّ إبراهيم. قالت : أجل والله ما أهجر إلاّ اسمك .

❑ حقوق آدم على حواء :

وحق الرجل على المرأة أن تطيعه في غير معصية وأن تخلص له الودّ وترعى بيته وتحفظ ماله، وأن تحضن أولاده وتربيهم على الصّلاح وتنشئهم على الخلق القويم. ومن هذه الموجبات أطلقوا على المرأة تسميات تدل عليها، فالمرأة معذّبة الرجل لأنها تحصنه وتذهب عذوبته، وهي ربضه أي قيِّمة بيته، وهي حاضنته لأنها تحضن أولاده وهي بيته الذي يأوى إليه .

والرجل في النظام الإسلامي هو راعي الأسرة وقيّمها، وسلطته فيها سلطة ولاية وقيادة، وليست سلطة تحكم. وطاعة المرأة للرجل ليست طاعة الأدنى للأعلى، وإنما هي موافقة وتسليم طوعي ومشاركة في كل ما ينفع الأسرة. وإذا كان جهل المرأة وعزلتها قد جعل سلطة الرجل عليها أقرب إلى التحكم، فإنّ تحررها من الجهل والعزلة كفيل بوضعها في المرتبة التي رفعها إليها الإسلام، حيث جعلها شريكة الرّجل في بناء الأسرة، وراعى رأيها في إدارتها وسياستها .

ومن أمعن النّظر في حقوق الزوجين وواجباتهافي الأسرة الإسلامية يجدها متوازنة ومتوازية، والالتزام بها يقوم على وازع من الدين والأخلاق، وبه تشيع الألفة والمودة بين الزوجين. ولعلّ وازع الدين والأخلاق من ألفة ومودة بين الزوجين. ولعلّ فيما قاله الأعشي - التّابعي الكبير - لزوجته خير شاهد على ما يصنعه وازع الدين والأخلاق من ألفة ومودة فقد تزوج الأعمش امرأة شابة جميلة وهو دميم، فقال لها يوماً : أنا وأنت في الجنّة إن شاء الله، فقالت : كيف علمت ذلك ؟ قال : أنا شاكر الله أن منحني امرأة في مثل جمالك وشبابك، وأنت صبرت على دمامتي، والشاكر والصابر في الجنّة .

على أنّ الرجال والنساء ليسوا سواء في الخضوع لوازع الدين والأخلاق، ففي الرجال الشديد الغضوب، يحسب أنّ سلطانه لا ينفذ إلاّ بالرعب، وفيهم الشحيح

المقتّر على أهله مع ملاءة واقتدار؛ وفي النساء السّليطة الذئرة، الغالبة بالشرّ، الناكرة للجميل، المسرفة المبذّرة بغير حساب، تلك التي يسمّيها العرب : العنقفير : (من أسماء العقرب يطلق على المرأة السليطة، الحديدة اللسان)، البظرير : (الطويلة اللسان)، الشنظير : (الغالبة الشرّ)، تدفن الحسنات وتشيع السيئات تقول لزوجها مهما أحسن إليها : ما رأيت منك خيراً قطّ فمثل هولاء الرجال والنساء لا تصلح معهم الحياة الزوجية ولا يصلحون لها، وغالباً ما يحصل الزواج بينهم عن حب دون اختيار، أو طمع في مال دون اختيار، أو مصلحة ترتجي وخير ترتقب، فإذا ما استوفت الأغراض حظّها، تراخى رباط الزوجية وعاش الزوجان في فراغ خلا من وازع الدين والأخلاق، ولن يلبث أن يصبح ساحة للشقاء والبغضاء وفساد الحياة الزوجية وويل للصالح مع الفاجرة، وللصالحة مع الفاجر .

إن دوام الحياة الزوجية رهن بدوام المحبّة بين الزوجين، والمحبّة هي الحبّ السليم يتحول بعد الزواج إلى إحساس بتبادل المودة والرحمة بين الزوجين، وشعور بالواجب الملقى على كلّ منهما، بحيث يسود الحياة الزوجية تفاهم وتسامح ورضا، وقد عبّر زوج عن الوسيلة التي تستديم بها زوجته مودته فخاطبها قائلاً :

خذي العفو منّي تستدعي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى
فـــيـــأباك قلبي والقلوب تقلبّ
فـــأنيّ رأيت الحبّ في القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

مفاتيح ذهبية لقلب حواء

في الفصلين السابقين كان الحديث يركّز على المفاهيم العامة للمداخل إلى قلب حواء فالصفات الخلقية والصفات الخُلُقية والحقوق والواجبات تمثّل الأسس والإطار العام لعلاقاتٍ يسودها الوِئام والإنسجام بين قطبي الحياة :

الرجل والمرأة والآن ننطلق إلى الخفايا والخبايا التي يدخل بها الرجل إلى قلب زوجته ويبني بيتاً ترفرف عليه رايات السعادة والهناء والسرور والمودة والرحمة والسكن والحق والخيَر والجمال والصورة الصادقة والنظرة الصائبة والأفكار الروحية الرائعة .

❑ العودة إلى عش الزوجية

● السلام :

من الأمور التي تغمر الزوجة بالسعادة أن يُحسن الزوج مقابلتها لأي أمر. وقد أرشد - ﷺ - الزوج المسلم إلى ما يبدأ به زوجته وهو التحية الطيّبة المباركة «السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته». وما أعظمها من تحية.. وما أجملها.. وما أروع معانيها.. إنها السلام والرحمة والبركة وبافشائِها يزرع اللّه سبحانه وتعالى المحبة في قلب كل من الزوجين نحو رفيق الدرب وشريك الحياة.. وهذا الحب يقود إلى عمل الخير الذي يقود إلى الجنّة قال ﷺ : « لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم .

● **الوجه الطلق الباسم :**

ومن المفاتيح إلى قلب الزوجة البسمة الرقيقة الحانية والوجه الطلق المنشرح الأسارير فهذه البسمة – رغم عناء الكد والكدح ومعاناة الحياة – تزرع الأمل والتفاؤل في قلب الزوجة وتُزيل القلق والأرق .

إنّه لأمر يسير أنْ توزّع الابتسامات وتحصد الحسنات فطلاقة الوجه من المعروف «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليق» رواه مسلم .

وقد كان النبي ﷺ في بيته ألْيَن الناس، كان بساماً ضحاكاً وهذه هي إجابة عائشة رضي اللّه عنها عندما سُئِلت : كيف كان رسول اللّه ﷺ إذا خلا في بيته ؟

فقالت : كان ألْيَن الناس، بسّاماً ضحاكاً» .

● **المصافحة :**

بالإضافة إلى التحيّة الطيبة المباركة.. تحية الإيمان والخير والنور والطهر والرحمة والبركة والسلام.. وعلاوة على توزيع الابتسامات الرقيقة فإن من إتمام رسم لوحة جميلة للقاء أن يصافح الزوج زوجته هذه المصافحة الشفافة التي يتولّد عنها الرحمة ومغفرة الذنوب والتي ترمز إلى استمرار التضامن والتعاون والتكافل والتعاضد والتراحم وكأن الزوج يقول لزوجته سنبقى معاً يداً بيد نواجه متاعب الحياة ونتعاون على البرّ والتقوى وعلى كل ما يُرضي اللّه سبحانه وتعالى. وقد ورد أن المصافحة تكون سبباً في تساقط الذنوب كما تتساقط أوراق الأشجار في فصل الخريف .

❑ عذوبة الخطاب ولطافة النداء

إن مخاطبة الغير فن راقي، يحتاج إلى ذوقٍ عالٍ، وفقه سامٍ، فعلى قدر حسن الخطاب، وعذوبة الحديث تكون الجاذبية أو النفور. وقد رسم الإسلام لأتباعه منهجاً في فن الخطاب، وفقه النداء، ومن شأنه أن يحقق سعادة الزوجين بعذوبته ولطافته وجاذبيته. ومن معالم هذا المنهاج :

● **الكلمة الطيبة :**

فإذا خاطب الزوج زوجته، فبالكلمة الطيبة، والعبارة الحسنة التي لا فحش فيها ولا إساءة، ولا لعن ولا طعن ..

قال ﷺ : «والكلمة الطيبة صدقة»(١) .

وعن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ :

«اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»(٢) .

هذه بعض آثار الكلمة الطيبة : الوقاية من النار، والترشيح لدخول دار السلام في الآخرة. وفي الدنيا تحبيب اللقاء والحديث لدى المخاطب، وإيناسه، وتقوية أواصر الألفة والمحبة، وليس من خلق المؤمن فحش القول وبذاءته .

عن ابن مسعود – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه ﷺ :

«ليس المؤمن بالطعّان، ولا باللعّان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء»(٣) .

● **إشعار المخاطب بالاهتمام به :**

حتى يكون الحديث عذباً، والخطاب مؤنساً، ينبغي أن يضاف إلى الكلمة الطيبة إشعار المخاطب بالاهتمام به، والحظوة لديه، وذلك بالتوجه إليه، والإقبال عليه، بالنظرات المقدرة، والنبرات المعبرة، والبسمات المنعشة. فعن هند بن أبي هالة – رضي اللّه عنه – أنه قال في وصف حديث رسول اللّه ﷺ مع جليسه .

«يعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه»(٤) .

وذلك لما يجده المخاطب من الحفاوة والتكريم، والبشر وطلاقة الوجه، واللطف ولين الجانب، والإقبال عليه والاهتمام به وخير من يبذل له ذلك الزوجة المسلمة .

---

١) متفق عليه

٢) متفق عليه

٣) الترمذي (حسن)

٤) شمائل الترمذي .

وليس من حسن الخطاب ولا أدبه في الإسلام أن يحدث الزوج زوجته، أو المرء أخاه، بلا مبالاة، أو أنفة وكبر، أو تولي وإعراض كأسلوب السادة في الجاهلية مع عبيدهم .

● الوضوح والتاني :

كذلك ينبغي أن يكون خطاب الزوج مع زوجته واضحاً بينا، بأناة ومهل، وصوت مسموع فيه الهدوء، ولا صاخباً ولا خفياً، ففي ذلك تلذذ بالخطاب، وتفهم للمراد .

✿ عن أنس – رضي اللّه عنه – أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً(١) .

✿ وعن عائشة – رضي اللّه عنها – قالت : «كان كلام رسول اللّه ﷺ فصلا يفهمه كل من يسمعه»(٢) فصلا، أي : بيناً ظاهراً .

✿ إن العجلة في الكلام، وعدم وضوحه، وخفاءالصوت به، يسبب للمخاطب قلقاً وتوتراً، إذا كان فيه تكاليف وطلبات وضيقاً وتبرماً إذا كان فيه نقل لأخبار طيبة ومسرات، فإن الاستيعاب يفوت أو ينقص، فتضيع حلاوة الخطاب والفائدة المرجوة .

ولا تستطيع الزوجة أن تتجاوب مع زوجها فيما يقوله، فيحدث التقصير في الطلبات والتكاليف خصوصاً مع اتصافها بالنسيان، فيأتي العتاب، والسبب الأساسي يرجع إلى الزوج لأنه لم يحسن اتباع هدى رسول اللّه ﷺ في الخطاب .

تلك بعض معالم فقه الخطاب والآن مع بعض معالم أدب النداء .

● النداء بأحب الأسماء :

يحسن للزوج أن ينادي زوجته بأحب الأسماء لديها ففي ذلك تصفية للود، وزيادة في المحبة .

---

١) البخاري

٢) أبو داود (حسن) .

قال عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – :

«ثلاثة يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن توسع له في المجلس، وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه»(١) .

تلك نظرة عميقة، وخلاصة تجارب في معاشرة الخلق، لعظيم من عظماء مدرسة النبوة .

✿ وفي القرآن الكريم نهى اللّه تبارك وتعالى المؤمنين أن ينادي بعضهم بعضاً بالأسماء القبيحة، والألقاب الجارحة ووبخ من يفعل ذلك توبيخاً شديداً .

قال تعالى :

﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾(٢) .

✿ وكان من هديه – ﷺ – أن يسمي المسلم بأحسن الأسماء ويناديه بأحب الأسماء والكنى والألقاب، ويغير قبيحها وسيئها .

✿ عن حنظلة بن حزيم – رضي اللّه عنه –، أن النبي – ﷺ – كان يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كناه»(٣) . وذلك لما فيه من التكريم والتحابب والتواصل، وإدخال السرور عليه .

✿ وعن عائشة – رضي اللّه عنها – أن رسول اللّه – ﷺ – كان يغير الاسم القبيح.

وعن ابن عمر – رضي اللّه عنهما – أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية، فسماها رسول اللّه – ﷺ – جميلة(٤) .

✿ وقد كنى رسول اللّه – ﷺ – عائشة – رضي اللّه عنها – بابن أختها عبد اللّه بن الزبير – رضي اللّه عنهما – تكريماً لها، وتلبية لطلبها المحبب .

✿ عن عائشة – رضي اللّه عنها قالت : قلت يا رسول اللّه، كل صواحبي لهن كنى،

---

١) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٧٩ .
٢) الحجرات : ١١ .
٣) الجامع الصغير (حسن)
٤) الترمذي .

قال : «فاكتني بابنك عبد اللّه». فكانت تكنى أم عبد اللّه(٥) .

- وللزوج أن ينادي زوجته بما تحبه وتسر بسماعه من الأسماء والألقاب والكنى، كأحلى الأزواج، وزوجتي العزيزة، وذات الحسن والجمال .. إلى آخره .

- ولا يليق به أن يناديها بما يضايقها أو يحرجها وينتقص منها، ولا أن يضفي عليها من الأوصاف السيئة شيئاً نتيجة تصرف خاطىء.. كأن يقول : يا غبية، يا أم الجهل، يا خدامة، أو يا شاطرة، يا ظريفة تهكماً فإن ذلك يكلم القلب ويدميه، ويجرح النفس، ويعكر الصفو، ويبدل السعادة حزناً، والسرور هماً وغماً .

● التدليل في النداء :

يحسن للزوج أن ينادي زوجته بما فيه دلال، فإذ ذلك يشعر بالمحبة والتقدير، ويجلب السعادة والسرور، ويشرح النفس والصدور، ويطرب الزوجة لسماعه، فيحدث من الخير ما يحدث، والتدليل لون من ألوان المداعبة المحببة والمرح البريء، الذي جاء به الإسلام .

وكان من هديه - ﷺ - إن يدلل أزواجه، فكان ينادي عائشة بأسلوب الترخيم، ومن مقاصده : التدليل - عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت : قال رسول اللّه - ﷺ - يوماً :

«يا عائشُ، هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت : وعليه السلام ورحمة اللّه وبركاته، ترى مالا أرى، تريد رسول اللهَ - ﷺ -»(٦) .

تلك شذرات من هدى المصطفى - ﷺ - في معاشرة الزوجة وآداب الحديث والخطاب، والدعوة والنداء، تحتاج من الزوج والزوجة إلى طول التأمل، وكثرة مراجعة، وتكلف وتدريب عليها، حتى يصبح سجيه، فتحطم الحواجز ويسرى الانفتاح، ويبدد الجفاف واليبوسة وتحل العذوبة والعاطفة، ومن وفق في هذا الباب،

٥) أبو داود .
٦) البخاري

ورزق حسن الخطاب، أشاع البهجة في جنبات البيت، ودامت السعادة والمحبة ترفرف على هذا العش السعيد .

❑ الإيناس والتسلية

من الأمور الهامة التي ينبغي أن يدركها الزوج المسلم ويراعيها باهتمام بالغ، أن سعادة الزوجة لا تنحصر في إغداق النفقات عليها، وإعطائها الأموال بسخاء.. بل هناك أسباب أخرى ذات شأن في جلب السعادة، منها : أن يشعر الزوج زوجته بالأنس، ويسليها فتتجاوب معه، ويتبادلان الأحاديث الشيقة، والذكريات الممتعة.. ويشتركان سوياً في أعمال حاضرة، ويمارسان سوياً نشاطات مسلية، ويتجاذبان أخبار الفكاهة والمرح .

فقد كان من هديه - ﷺ - إيناس أزواجه والسمر معهن، مع كثرة مشاغله، وعظم أعبائه - ﷺ - .

فاعرف هدي نبيك - ﷺ - إذا دخلت المنزل أيها الزوج المسلم، واحرص على تطبيقه لتسعد وتنعم .

✿ قال الحسين رضي اللّه عنه - : سألت علياً - رضي اللّه عنه - عن دخول رسول اللّه - ﷺ - ؟

فقال : كان - ﷺ - إذا أوى إلى منزله جزّء دخوله ثلاثة أجزاء : جزءً للّه، وجزءً لأهله، وجزءً لنفسه(١) .

فكان - ﷺ - يعطي أهله جزءً من ثلاثة لإيناسهم وحسن عشرتهم، والقيام بحاجاتهم ومهماتهم، والتعرف على أحوالهم وشئونهم، وتعليمهم وتأديبهم ..

✿ وكان - ﷺ - يجالس أزواجه وأقاربه من المحارم ويحدثهن، ويحدثنه، ويبتسم ويضحك وربما ترتفع أصواتهن فلا يمل ولا يضجر ..

---

١) شمائل الترمذي .

عن سعد بن أبي وقاص – رضي اللّه عنه – أنه قال :

«استأذن عمر – رضي اللّه عنه – على رسول اللّه – ﷺ – وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول اللّه – ﷺ – فدخل، رسول اللّه – ﷺ – يضحك .

– فقال عمر : أضحك اللّه سنك يا رسول اللّه .

– فقال – ﷺ – : «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» .

– فقال عمر : فأنت يا رسول اللّه أحق أن يهبن،

– ثم قال عمر : أى عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول اللّه – ﷺ – ؟!

– قلن : نعم أنت أغلظ وأفظ .

– فقال – ﷺ – : «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا وسلك فجاً غير فجك»(٢) .

قال الإمام النووي : «قال العلماء : معنى يستكثرنه : يطلبن كثيراً من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن. وقوله : «عالية أصواتهن» : قال القاضي عياض : يحتمل أن هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته – ﷺ – ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان باجتماعهن، لا أن كل واحدة بانفرادها صوتها أعلى من صوته – ﷺ –»(٣)

✿ وكان – ﷺ – يقضي الوقت الطويل في السمر مع أهله في خير، والآن أقدم هذه الدعوة الفاخرة، لأخي الزوج المسلم، وأختي الزوجة المسلمة، لقضاء أوقات مسلية مع ليلة نبوية سامرة، حول حديث أبي زرع(٤) .

---

٢) متفق عليه

٣) مسلم بالنووي .

٤) البخاري ومسلم وغيرهما

عن عائشة – رضي اللّه عنها – قالت : «جلست إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً .

– **فقالت الأولى** : زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيُرتقى، ولا سمين فيُنْتَقَل .

(المعنى : أنها تشبه زوجها في رداءته بلحم جمل غث – أي شديد الهزال – كأنه على رأس جبل وعر – أي يصعب الوصول إليه – والمقصود : أن زوجها متكبر سيء الخلق، لا يوصل إليه إلا بمشقة، ولا ينفع زوجته في عشرة ولا غيرها) .

– **وقالت الثانية** : زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره، أذكر عُجَرَه وبُجَرَه .

(المعنى : لا أنشر خبر زوجي وأشيعه، لأنني إن شرعت في ذكره، لا أستطيع تركه لطول أخباره وكثرتها، وإن ذكرته ذكرت عيوبه الظاهرة والباطنة) .

وقالت الثالثة : زوجي العَشَنَّق، إن أذكر أُطلَّق، وإن أسكت أُغلَّق. (المعنى : زوجي سيء الخلق، سفيه، إن ذكرت عيوبه طلقني، وإن سكت عنها تركني معلقة ؛ لا عزبة ولا مزوجة) .

– **وقالت الرابعة** : زوجي كليل تهامة، لا جرّ ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة .

– (المعنى : تهامة : هي مكة المكرمة وما حولها من الأغوار وهذا وصف بليغ لزوجها، وصفته بعدم الأذى، وبالراحة ولذاذة العيش والاعتدال، كليل تهامة الذي لا حر فيه، ولا برد مفرطين، وأنها لا تخاف غائلته لكرم أخلاقه، ولا تخشى منه ملالاً ولا سآمة) .

– **وقالت الخامسة** : زوجي إن دخل فَهِد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عَهِد .

– (المعنى : تصف زوجها بالشجاعة في الحروب كالأسد، وبالهدوء وكثرة الراحة في البيت، وبالجود والكرم لعدم سؤاله لما في البيت من طعام وشراب ومتاع.. بقي أم ذهب) .

- **وقالت السادسة** : زوجي أن أكل لفّ، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكفّ ليعلم البثّ .

(المعنى : تصف زوجها بالذم : فهو شره إذا أكل أو شرب استوعب ما في الإناء حتى لا يبقى منه شيئاً لها ولعيالها، وإن نام التف في ثيابه ناحية ولم يضاجعها ليعلم ما عندها من محبته، ولا يسأل عن حالها إذا مرضت أو اشتكت) .

- **وقالت السابعة** : زوجي عياياء - أو غياياء - طباقاء، كل داء له دواء، شجّك أو فلّك، أو جمع كلاً لك .

(المعنى : عياياء : عنين، عاجز عن مجامعة النساء.

غياياء : ذو ضلالة وغي .

طباقاء : غبي أحمق إذا اجتمعت عليه الأمور .

كل داء له دواء : أي جميع أدواء الناس مجتمعة فيه .

الشج : الجرح .

الفل : الكسر .

والمقصود أنها تقول : أنا معه بين جرح رأس، أو ضرب أو كسر عضو، أو جمع بينهما) .

- **وقالت الثامنة** : زوجي المس مس أرْنَب، الريح ريح زَرْنَب .

(المعنى : تمدحه بأن مسه كمس الأرنب في اللين والنعومة وحسن الخلق، وبأنه طيب الرائحة كريح الزرنب، وهو نوع نبات طيب الرائحة، أو طيب الذكر في الناس) .

- **وقالت التاسعة** : زوجي رفيع العماد، طويل النِّجاد عظيم الرماد، قريب البيت من الناد .

(المعنى : رفيع العماد : وصف له بالشرف وسناء الذكر، والرفعة في قومه .

طويل النِّجاد : وصف له بطول القامة، والنجاد : حمائل السيف، والطويل يحتاج إلى طول حمائل سيفه، والعرب تمدح بذلك .

عظم الرماد : وصف له بالجود والكرم وكثرة الضيافة، من اللحوم والخبز، فيكثر وقوده، ويكثر رماده .

قريب البيت من الناد : أي النادي هو جلس القوم، وهذا وصف له بالكرم والسؤدد، لأنه لا يقرب البيت من النادي إلا من هذه صفته، لأن الضيفان يقصدون النادي، وأصحاب النادي يأخذون ما يحتاجون إليه في مجلسهم من البيت القريب من النادي، وهذه صفة الكرام) .

- **وقالت العاشرة** : زوجي مالكٌ، وما مالكٌ خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المِزْهَر، أيقنَّ أنهن هوالك .

(المعنى : زوجي خير مما أصفه به، وهو رجل كريم جواد، له إبل كثيرة فهي باركة بفنائه، لايوجهها تسرح إلا قليلاً قدر الضرورة، فإذا نزل به الضيفان كانت الإبل حاضرة، فيقربهم من ألبانها ولحومها، ويضرب لهم المزهر وهو العود والمعازف، فإذا سمعت الإبل أصوات المزهر، علمت أنه قد جاءه الضيفان وأنهن منحورات هوالك) .

- **قالت الحادية عشر** : زوجي أبو زرع، وما أبو زرع !(١)

- أناسَ من حُلِيٍّ أذنى. أي : حلاني قرطة وشنوفاً، فهي تنوس، أي : تتحرك لكثرتها .

- وملأ من شحم عضدي. أي : سمنت عنده. أملأت شحماً .

- وبَجَّحني فَبَجِحَتْ إليّ نفسي. أي : فرحني ففرحت، وعظمني فعظمت عندي نفسي .

- وجدني في أهل عنيمة بِشِقّ، فجعلني في اهل صهيل وأطيط، ودائس ومُنَقٍّ، أي : وجدني في أهل غنم قليلة في ناحية من الجبل، فنحن في ضيع عيش وفقر،

---

١) هنا سأذكر النص مع المعنى لأن الفصل بينهما يرهق القارىء في معرفة المعاني، والفاصل بين النص والمعنى كلمة (أى) .

فحملني إلى أهل الخير وإبل وبقر، تدوس الزرع في بيدره لتخرج الحب من السنبل، وتنظفه من التبد بعد الدوس .

- فعنده أقول فلا أُقَبَّح. أي : لا يقبح قولي بل يقبله مني .
- وأرقد فأتصبح. أي : أنام بعد الصباح يخدمني .
- وأشرب فأتَقَمَّح. أي أشرب حتى أرتوي، وأدع الشراب من شدة الري .
- أم أبي زرع. فما أم أبي زرع ؟
- عكومها رداح. أي : أوعية طعامها عظيمة كبيرة .
- وبيتها فساح. أي : واسع .
- بن أبي زرع، فما ابن أبي زرع ؟
- مضجعة كمَسَلِّ شَطْبه. أي : أنه مهفهف قليل اللحم .
- وتشبعه ذراع الجَفْرة. أي قليل الطعام. والعرب تمدح به .
- بنت أبي زرع. فما بنت أبي زرع ؟
- طول أبيها طوع أمها. أي : مطيعة لهما منقادة لأمرهما .
- وملء كسائها. أي : ممتلئة الجسم سمينة .
- وصِفر ردائها. أي ضامرة البطن .
- وغيظ جارتها الجارة هنا : الضرة، والمعنى : يغيظ ضرتها ما ترى من حسنها وجمالها خَلقاً وخُلقاً .
- جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع ؟
- لا تبث حديثنا تبثيثاً . أي لا تشيع حديثنا، بل تكتم سرنا وحديثنا كله .
- ولا تَنْقُث ميرتنا تنقيثا. أي : لا تفسد طعامنا وتفرقه، ولا تذهب به فهي أمينة .
- ولا تملأ بيتنا تعشيشاً. أي : لا تترك الكناسة والقمامة فيه متفرقة كعش الطائر، بل هي مصلحة له معتنية بتنظيفه .

❁ قالت أم زرع :

خرج أبو زرع والأوطاب تُمْخَض. أي : أسقية اللبن تحرك لاستخراج الزبد من اللبن .

فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها .

❁ فنكحتُ بعده رجلاً سريا. أي : من سراة الناس وأشرافهم .

❁ ركب شرياً. أي : فرساً يستشري في سيره ويمضي بلا فتور .

❁ وأخذ خطياً. أي : حمل الرمح فهو شجاع فارس .

❁ وأراح عليّ نعماً ثرياً. أي : جمع لي الإبل والبقر والغنم والمال الكثير .

❁ وأعطاني من كل رائحة زوجا. أي اعطاني من الإبل والبقر والغنم اثنين اثنين أو أصنافاً كثيرة .

❁ وقال : كلي أم زرع، وميري أهلك. أي : أعطيهم من الطعام .

❁ فلو جمعتُ كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع .

❁ قالت عائشة – رضي اللّه عنها – : فقال رسول اللّه – ﷺ – : «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»

❁ وجاء في رواية الهيثم بن عدي : «كنت لك كأبي زرع لأم زرع، في الألفة والوفاء، لا الفرقة والجلاء» .

❁ وزاد الطبراني في روايته : «إلا أنه طلقها، وإني لا أطلقك» .

❁ وزاد النسائي والطبراني : قالت عائشة – رضي اللّه عنها – : «يا رسول اللّه، بل أنت خير من أبي زرع» .

❁ وفي رواية النسائي : أنه – ﷺ – هو الذي ابتدأ الحديث، فقال لعائشة – رضي اللّه عنها – : «كنت لك كأبي زرع لأم زرع» .

فقالت – رضي اللّه عنها – : بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، ومن كان أبو زرع ؟

فقال - ﷺ - : «اجتمع النساء ..»

❁ فانظر يا أخي الزوج المسلم، ويا أختي الزوجة المسلمة، في حسن عشرته - ﷺ، وكريم خلقه مع أهله، حيث أصغى إلى حديث عائشة - رضي اللّه عنها -، وهي تحدثه عن قصة وقعت في الجاهلية، من نساء اجتمعن وتعاقدن على أن تخبر كل واحدة منهن عن مواقف زوجها معها، من حيث الأخلاق والمعاملة والمعاشرة .

❁ وقد قال العلماء : يؤخذ من هذا الحديث : ندب حسن المعاشرة للأهل، وحل السمر في خير، كملاطفة زوجته، وإيناس ضيفه، وجواز ذكر المجهول عند المتكلم والسامع بما يكره، فإنه ليس غيبة، وغاية الأمر أن عائشة - رضي اللّه عنها - ذكرت نساءً مجهولات، ذكر بعضهن عيوب أزواج مجهولين، لا يعرفون بأعيانهم، ولا بأسمائهم، ومثل هذا لا يعد غيبة كما أوضح ذلك الإمام النووي في شرحه .

❁ وأخذ الأئمة من هذا الحديث جواز التحدث عن الأمم الماضية، والأجيال البائدة، وضرب الأمثال بهم، لأن من سيرهم اعتباراً للمعتبر، واستبصاراً للمستبصر، واستخراج الفائدة للباحث المستكثر، فإن في هذا الحديث خصوصاً إذا حُدِّث به النساء منفعة في الحض على الوفاء للبعولة .

❁ قال القاضي عياض : وفي هذا الحديث من الفقه : التحدث بمُلَح الأخبار، وطُرف الحكايات، تسلية للنفس، وجلاء للقلب .

وهكذا ترجم الإمام الترمذي عليه :

❁ بعد العيش مع هذه الليلة النبوية السامرة، المليئة بالفوائد الزاخرة، وذكر بعض استنباطات العلماء منها حول المؤانسة والتسلية.. أذكر لكم هذا الموقف المنعش، والذي يجلي حرص الرسول - ﷺ - على تسلية أهله بالحديث معهم في الحضر والسفر، لإذهاب الوحشة، وتقوية الألفة .

عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت :

كان رسول اللّه - ﷺ - إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، وكان رسول اللّه - ﷺ - إذا كان بالليل سار مع

عائشة يتحدث معها فقالت حفصة لعائشة : ألا تركبين الليلة بعيري، وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر!

قالت : بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة فجاء رسول اللّه - ﷺ - إلى بعير عائشة وعليه حفصة فسلم ثم سار معها حتى نزلوا، فافتقدته عائشة فغارت ! فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها في الأذخر وتقول :

يا رب سلّط علي عقرباً أو حية تلدغني. رسولك، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً(١).

بعد هذه اللقطات المسلية من عشرة النبي الزوجية، يتبين لنا حرص الرسول - ﷺ - على ذلك الجانب وتأكيده عليه رغم كثرة المشاغل، وعظم الأعباء، فإن هذا الجانب ينبغي أن يأخذ حقه ونصيبه من الاهتمام، ولا ينبغي إهماله فإنه من جملة الواجبات الهامة على الزوج .

- وفي الإهمال كثير من الأخطار، فإن مكث المرأة في الدار وطول القرار، وبعد زوجها عنها الساعات الطوال، يسرب إلى نفس الزوجة السآمة والملل، والضيق والأحزان .
- فينبغي للزوج المسلم أن يدرك الأخطار قبل وقوعها، فيشعر زوجته بالإيناس ويسليها بتحديثها عن آماله وآلامه، وأشواقه وأحلامه، وأحواله في عمله مثلاً، ومواقف الحياة الطريفة.. وأخبار العالم وأحداثه المثيرة، ومواقف للدعوة والدعاة.. والسؤال عن أحوالها وأخبارها وشئونها.. إلى غير ذلك مما يصل حبال الأنس بينهما .

وينبغي للزوج المسلم أن يشعر زوجته بقوة ارتباطه بها، وعظم اهتمامه بها، وأنها في بؤرة شعوره لا هامشه، في سويداء قلبه لا جوانبه .

خيالك في عيني وذكرك في فمي

ومثواك في قلبي فأين تغيب

---

١) مسلم .

فلا يشغله عنها كثرة الأعمال : سواء كانت تجارة وجمع مال لتحسين الحال، أو كثر الأسفار والحل والترحال، أو طلب العلم، أو شئون الدعوة ..

كيف ينسيه ومن هو أكثر منه مشاغل، وأعظم تبعة كان حريصاً على هذا الجانب، لا يغفله من حضر ولا سفر ؟

تلك هي العظمة التي توازن بين المطالب والحقوق، فلا يطغى جانب على جانب، بل يعطى كل ذي حق حقه بالعدل والميزان، بلا زيادة ولا نقصان .

حينها تسير سفينة الحياة الزوجية آمنة في غاية الاستقرار، مصونة من الأعاصير والأخطار .

فاحذر يا أخي المسلم أن تجعل حياتك وتصرفاتك أمام زوجتك ألغازاً وأسراراً، ولكن أشركها معك في أمورك، وأطلعها على أحوالك بقدر، وإن كان لا بد من ستر شيء هام، فعوضها عن ذلك بما يذهب وحشتها، ويؤنس وحدتها، تنل حبها وثقتها، وتحقق سعادتها. وارجع دائما إلى هدى خير الأزواج - ﷺ -، وتأمل فيه وتدبر، واجتهد واعمل .

وعليك بكتب الملح والطرائف في أخبار الأذكياء، والبخلاء والحمقى والمغفلين، ونوادر العرب وغيرها ففيها زاد طيب .

❑ الترويح والملاعبة

من معالم هذا الدين العظيم، وخصائصه الفريدة، واقعيته ومراعاته لمتطلبات الفطرة، واحتياجات النفس البشرية في مختلف أحوالها. فالحياة قُلَّب، مليئة بالمتغيرات، لذا فالنفس تحتاج إلى ما يذهب الملل، ويجدد النشاط، ويمسح العناء، ويبدله بالهناء .

ومن الأمور التي أباحها الإسلام، وحث عليها الترويح والملاعبة البريئة. وهذا لون خاص، ومظهر خاص من التسلية والمؤانسة ومن شأنه أن يشيع المحبة بين الأزواج، وبين الأصدقاء.. ويقوي وشائج الألفة، ويجلب السعادة .

ولقد كان من هديه – ﷺ – في عشرة أزواجه أن يروح عنهن بالفكاهة والمداعبة، والمزاح والملاعبة، تأنيساً لهن، وتلطفاً بهن، وإفاضة للسعادة عليهن .

وكان – ﷺ – يحث أصحابه على ملاعبة أزواجهم ومضاحكتهن.. فهيا بنا أخي الزوج المسلم، وأختي الزوجة المسلمة، نجلس مع باقة منعشة من عطر النبوة الأريج في العشرة الزوجية .

– عن جابر – رضي اللّه عنه – قال :

كنا مع النبي – ﷺ – في غزوة، فلما رجعنا وكنا قريباً من المدينة، قلت : يا رسول اللّه، إني حديث عهد بعرس .

قال : أتزوجت ؟

فقلت : نعم .

قال : أبكر أم ثيب .

قلت : بل ثيب .

قال : فهلا بكراً تلاعبها .

وفي رواية :

«فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك» .

أو قال : «تضاحكها وتضاحكك»(١) .

فقد نبه – ﷺ – على مقوم من مقومات السعادة في الحياة الزوجية، ألا وهو تبادل المداعبة والملاعبة، والفكاهة المضحكة بين الزوجين .

وخشي على صاحبه أن يفوته هذا المقوم، أو ينقص فتتأثر حياة الزوجين بذلك .

– ولقد كان – ﷺ – أفكه الناس، وأحسنهم عشرة لزوجاته : يداعبهن ويلاعبهن، ويمازحهن ويضاحكهن.. في مختلف الظروف والأحوال : حضراً وسفراً، عند النوم وعلى المائدة الطعام والشراب، وعند الغسل ..

● **مداعبة في السفر :**

✿ عن عائشة – رضي اللّه عنها – قالت :

خرجت مع رسول اللّه – ﷺ – في بعض أسفاره وأنا جارية – أي حديثة السن – لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس : «تقدموا» فتقدموا، ثم قال :

«تعالي حتى أسابقك» فسابقتُه فسبقتُه، فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت، فخرجت معه – ﷺ – في بعض أسفاره، فقال – ﷺ –:

«تقدموا» فتقدموا ، ثم قال «تعالي أسابقك» ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت : كيف أسابقك يا رسول اللّه وأنا على هذه الحال ؟

فقال : لتفعلن .

فسابقته فسبقني، فجعل يضحك – ﷺ – ويقول : هذه بتلك»(١) .

أرأيت يا أخي إلى هذه الرياضة الفكاهية، والملاعبة المسلية، وفقه العشرة الزوجية .

وإن الصحبة في السفر وحدها ترويح وتفريح ويلحق بالسفر ما كان في معناه من الخروج إلى بستان، أو نزهة، أو زيارة المعالم.. مع مراعاة الآداب الشرعية، فلا تبرج ولا سفور، ولا مجالسة ومشاهدة لأهل الفجور، ولا اختلاط بالأجانب .

● **مداعبة المنزل :**

كان – ﷺ – يشيع السعادة في بيته، ويغمر أزواجه بالبهجة والسرور، بملاطفتهن ومضاحكتهن ومداعبتهن .

✿ عن عائشة – رضي اللّه عنها – قالت :

قدم رسول اللّه – ﷺ – من غزوة تبوك أو حنين، وفي سهوتي(٢) ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لي لُعب. فقال – ﷺ – :

---

١) أحمد بن داود (صحيح).

٢) السهوة : بيت صغير شبيه بالخزانة .

ما هذه يا عائشة ؟ قلت : بناتي .

ورأى - ﷺ - فرساً له جناحان من رقاع. فقال :

ما هذا الذي أرى وسطهن ؟!

قلت : فرسي .

قال : وما الذي عليه ؟!

قلت : جناحان .

قال : فرس له جناحان ؟!

قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ فضحك - ﷺ - حتى رأيت نواجذه»(٣)

✿ وكان - ﷺ - يسرب الجواري ليلعبن مع عائشة، ويسر بذلك لسرورها .

عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت :

«كنت ألعب بالبنات(٤) عند رسول اللّه - ﷺ -، وكانت تأتيني صواحبي فينقمعن(٥) من رسول اللّه - ﷺ -، وكان يسربهن إليّ فيلعبن معي»(٦)

✿ وقد كان - ﷺ - يدعو عائشة لمشاهدة اللعب واللهو البريء إدخالاً للسرور على نفسها، وكانت تقضي الوقت الطويل في المشاهدة مستندة على عاتقه - ﷺ حتى تمل .

عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت :

«لقد رأيت رسول اللّه - ﷺ - يسترني بردائه، وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو»(٧)

---

٣) أبو داود (صحيح) .

٤) البنات : المراد لعب الأطفال والدمى .

٥) ينقمعن : يستخفين هيبة منه - ﷺ -

٦) متفق عليه

٧) متفق عليه

وفي رواية قالت :

«وجاء السودان يلعبون بين يدي رسول اللّه - ﷺ - في يوم عيد، فدعاني رسول اللّه - ﷺ -، فكنت أطلع عليهم من فوق عاتقه حتى كنت أنا التي انصرفت».

أرأيتم أيها الأخوة الأزواج إلى شهادة أمكن عائشة وهي تدعوكم إلى مراعاة لهو ومداعبة الزوجة خصوصاً إذا كانت صغيرة لأن ذلك يسرها ويسعدها .

● مداعبة على مائدة الطعام والشراب :

يستحب للزوج المسلم أن يؤنس زوجته عند الطعام بأكلها معه، فهذا الصنيع مما حثت عليه السنة النبوية، ولا يليق به وبها أن يأكل كل واحد على انفراد، فهذا شأن سادة الجاهلية مع خدمهم، وعادة المتنافرين .

❁ عن وحشي بن حرب - رضي اللّه عنه - أن أصحاب رسول اللّه - ﷺ -

قالوا : يا رسول اللّه، إنا نأكل ولا نشبع .

قال : فلعلكم تفترقون .

قالوا : نعم .

قال : فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم اللّه، يبارك فيه»(١)

ومن المواطن المناسبة لحصول المداعبة، مائدة الطعام، فقد كان - ﷺ - يداعب أهله عند الأكل والشراب، فيناول زوجته.. ويطعمها في فمها.. وتبادله ذلك.. ويشرب من موضع فمها وهي تفعل ذلك ..

❁ عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - قال : قال رسول اللّه - ﷺ - :

«إذا أكل أحدكم طعاماً، فلا يمسح يده حتى يَلْعقها أو يُلْعقها»(٢)

---

٨) النسائي .

١) أبو داود .

٢) متفق عليه .

❁ عن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – قال : قال رسول اللّه – ﷺ – :

«إذا أكل أحدكم طعاماً، فلا يمسح يده حتى يَلْعقها أو يُلْعقها»(١)

ويدخل في معنى «يُلعقها» أن يطلب الزوج من زوجته الحبيبة التي تؤاكله أن تمص أصابعه وتلعقها، ويلعق هو أصابعها كذلك، وفي هذا الصنيع الشيء الكثير من المداعبة المحببة التي تزيد ألفة الزوجين، وتجلب السعادة للحبيبين .

❁ وعن عائشة – رضي اللّه عنها أنها قالت :

«كنت أشرب وأنا حائض – أي من إناء النبي – ﷺ – فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي – ﷺ – فيضع فاه على موضع فيّ»(٢) .

هكذا عظمة النبوة في إيناس الزوجة ومداعبتها، وإشعارها بمحبتها حتى إنه ليتتبع موضع فمها ويضع فمه عليه، بكل حب وسرور .

فأين ذلك من فعل الجبابرة قساة القلوب، الذين يشمئزون ويتقززون، ويستكبرون وينفرون من مؤاكلة زوجاتهم فضلاً عن دعوتهن للأكل والشرب معهم من إناء واحد ومكان واحد .

● مداعبة أثناء الغسل :

كان – ﷺ – يداعب أهله أثناء الغسل لإدخال السرور عليهن ..

❁ فعن عائشة – رضي اللّه عنها – أنها قالت :

«كنت أغتسل أنا ورسول اللّه – ﷺ – من إناء واحد بيني وبينه تختلف أيدينا عليه، فيبادرني حتى أقول دع لي دع لي قالت : وهما جنبان»(٣)

هكذا اغتسال من إناء واحد، يسبقها في الأخذ منه وتسبقه، يصب عليها وتصب عليه، يدلكها وتدلكه، فيسعدها وتسعده .

---

١) متفق عليه .

٢) فاه : فمه .

٣) متفق عليه

- إقراره - ﷺ - مداعبة الزوجات بعضهن مع بعض

كان أزواج رسول اللّه - ﷺ - يداعب بعضهن بعضاً وكان - ﷺ - يشاركهن تلك المدعبة بالضحك والابتسام .

✿ عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت :

«إني لطخت وجه سودة بحريرة، ولطخت سودة وجهي بحريرة، فجعل رسول اللّه - ﷺ - يضحك»(١) .

● استثناء لهو الرجل مع أهله :

قد يغلب الجد على بعض الرجال لدرجة الجفاف والجمود، فتذهب من عندهم خفة الروح، فتشقى بهم زوجاتهم. وقد يتحرج أزواج آخرون من اللهو واللعب، والمضاحكة والمداعبة مع زوجاتهم خشية أن يكون ذلك غفلة عن ذكر اللّه، فيتعب هؤلاء الأزواج زوجاتهم من حيث لا يشعرون .

فإلى هؤلاء وأولئك نسوق تلك البشرى النبوية التي ترفع الحرج وتنشط الخامل .

✿ «كل شيء ليس من ذكر اللّه هو لعب إلا أن يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين(٢)وتعليم الرجل السباحة»(٣) .

ومن أقوال الصحابة - رضوان اللّه عليهم - في هذا الباب :

قول علي - رضي اللّه عنه - : سلُّوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد .

وقول ابن عباس - رضي اللّه عنهما - حبر الأمة : خَمِّضوا. أي إذا مللتم من الفقه فخذوا من الأشعار، وأخبار العرب .

---

١) البخاري في الأدب المفرد .
٢) الغرضين : الهدفين في الرماية، ويدخل فيها السباق أيضاً .
٣) النسائي (صحيح) .

● **نماذج من مزاحه - ﷺ - :**

كان - ﷺ - يمازح جلساءه لإدخال السرور عليهم، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة، ونماذج متعددة مع الرجال والنساء والصبيان .

وقد كان - ﷺ - في مزاحه قمة، يلتزم الحق، ولا يقول باطلاً .

وقد كان مزاحه - ﷺ - بقدر لا إفراط فيه .

ومراعاة للمقام سأكتفي ببعض النماذج من مزاحه - ﷺ - مع النساء، ليعرف ذلك الأزواج .

❁ جاءت امرأة فقالت : يا رسول اللّه، احملني على بعير .

فقال : احملها على ابن بعير .

فقالت : ما أصنع به ؟ وما يحملني يا رسول اللّه !

فقال : وهل يجيء بعير إلا ابن بعير»(١) .

❁ عن زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها : أم أيمن الحبشية، جاءت إلى رسول اللّه - ﷺ - فقال : إن زوجي يدعوك .

فقال : من هو ؟ أهو الذي بعينيه بياض ؟

فقالت : ما بعينيه بياض .

فقال : بلى بعينيه بياض .

فقالت : لا، واللّه .

فقال : ما من أحد إلا بعينيه بياض» أي بياض المحيط بالحدقة .

❁ أتت عجوز النبي - ﷺ - فقال : يا رسول اللّه، ادع اللّه أن يدخلني الجنة .

فقال : يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز .

فولّت - أي ذهبت - وهي تبكي .

---

١) أبو داود، الترمذي، أحمد .

فقال - ﷺ - : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن اللّه تعالى يقول : ﴿إنّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً﴾(١)

أي : أن نساء الجنة يكن شابات في سن واحدة .

● آداب المزاح

هنالك جملة آداب حث عليها الإسلام عند المزاح حتى يكون مثمراً، خالياً من السلبيات .

ومن هذه الآداب :

١ - أن يكون المزاح بالحق، فلا يجوز الكذب فيه .

٢ - ألا يكون المزاح كثيراً، فإن كثرته تميت القلب، وتزيد الغفلة عن ذكر اللّه، وتقلل هيبة المرء ..

٣ - ألا يكون فيه أذى أو حزن للغير، أو ترويع له وفزع، أو استخفاف به واستهزاء وسخرية، أو غيبة.. أو أي ضرر للغير .

ذلك - أخي الزوج المسلم - هو هدى نبيك - ﷺ - في عشرة أزواجه ومداعبتهن، والترويح عنهن وممازحتهن.. فتحلى بهديه ترفرف على بيتكم السعادة .

وعلى الزوج أن ينمي عنده الفكاهة، ولا نريدة مبرزاً في هذا الباب، فإن فيه جزءاً خِلْقياً لا قدرة له عليه، لكن هناك أيضاً جزءٌ كسبي يمكن تحصيله، وهذا الذي نريد الحد الأدنى منه بحيث يمكنه إيناس أهله، وإدخال السرور عليهن .

ويمكن تحصيل ذلك عن طريق مجالسة الفكاهيين والاستماع إليهم، فيرجى بذلك التأثير بروحهم، وتحرك النفس لتقليدهم، فإن النفس من طبيعتها المحاكاة .

كذلك نوصيه بمطالعة كتب أخبار الأذكياء، وحكايات الحمقى والمغفلين، فإن فيها زاداً منشطاً، وتنمية للقدرات، وتفجيراً للطاقات .

---

١) الواقعة : ٣٥ : ٣٧ الحديث رواه الترمذي .

وفي الختام نوصي الزوج بأن يكون لبقاً في فكاهته ومداعبته، بحيث ينتـ.. الأوقات المناسبة، والظروف الملائمة، كوقت النوم، وعند الطبخ، وعلى المائدة، ؛ ثناء الغسل وفي الأسفار، وليالي العرس والأفراح، وأوقات الصلح بعد الهجر ..

ويتخير ما يناسب من الدعابة والفكاهة .

والموفق من وفقه اللّه، ونسأل اللّه أن يوفق الأزواج المسلمين إلى حسن الاختيار، وسلامة التطبيق .

❑ التعاون المنزلي :

إن الحياة الزوجية شركة بين الزوج والزوجة، وحتى تحقق هذه الشركة أعظم الأرباح، تجنى أطيب الثمار، لا بد من تعاون كافة الأطراف، وبذل قصارى الجهد بصدق وإخلاص. ويتأكد هذا في حق الزوجين المسلمين الذين يحرصان على اتباع هدى رسول اللّه - ﷺ - .

- نعم، إن هناك أموراً من مسؤليات الزوج بالدرجة الأولى لكن لا مانع من تعاون الزوجة معه فيها، وتكون مشكورة على ذلك إذا لم تضيع واجبات أولى .

وهناك أموراً هي من مسؤليات الزوجة بالدرجة الأولى لكن لا مانع من تعاون الزوج معها فيها، ويكون مشكوراً على ذلك بشرط ألا يضيع واجبات أولى .

- ومن مسئوليات الزوجة خدمة زوجها وتدبير المنزل، على هذا جرى العرف في بلاد الإسلام، وسارت على ذلك الصحابيات الكريمات، وليس هنا مقام تفصيل تلك الأحكام، فلست أقصد إلى ذلك في هذا الكتاب .

- غير أنه يدخل به الزوج السرور على زوجته وشريكته وحبيبته أن يعاونها في تلك المهمة، تلطفاً وتأنيساً، وتعاطفاً وتخفيفاً وصلاً للحبل الذي جعله اللّه بينهما : حبل المودة والرحمة، ليتحقق السكن والاستقرار، والسعادة والسرور .

قال تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(١) .

١) الروم : ٢١ .

۞ ولقد كان من هديه - ﷺ - في عشرة زوجاته أن يعاونهن في شئون المنزل، فيرقع الثوب، ويخصف النعل، ويقطع اللحم ..

۞ عن الأسود قال : سألت عائشة - رضي اللّه عنها - :

ما كان النبي - ﷺ - يصنع في أهله ؟

فقالت : كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»(٢) .

۞ والزوج المسلم الرحيم هو الذي يدخل على زوجته السرور بمعاونتها، فما أحلى تلك اللحظات، وما أسعدها من أوقات : أن تجد الزوجة زوجها إلى جوارها يعاونها ويناولها، ويخفف عنها بعض الأعباء، بسماحة نفس، وانشراح صدر، ولين جانب.. ودافعه إلى ذلك وحاديه هدى رسول اللّه - ﷺ - .

۞ وما أسواها من لحظات، وما أتعسها من أوقات أن تجد الزوجة نفسها وحيدة مجهدة، والأعباء على كاهلها كثيرة ولا تكاد تنتهي من عمل حتى تجد أمامها أعمالاً، والعرق يتصبب من جبينها، ولا تستطيع أن تلتقط أنفاسها وزوجها جالس مستريح يضحك ويسلي نفسه، ويقتل وقته بلهو عابث، ولعب فارغ، وينادي عليها بين الحين والحين : انتهيت أم لا ؟ وإذا قام إليها، وألقى نظرة عليها، لم تنل منه إلا العتاب والتنائيب، واللوم والرمي بالتقصير .

لا أقول هذا فصاحة وبلاغة، ولكنه تصوير لحقيقة، فسلوا زوجاتكم عن هذا أيها الأزواج بصدق وصراحة، فعند جهينة الخبر اليقين .

۞ والتعاون المنزلي ترتفع درجته إذا حلت عوارض كأن ينزل بها مرض يضعفها أو يقعدها .

وكساعات الحمل الشديدة والولادة ..

أو كأن يقصد البيت ضيفان كثير.. أو غير ذلك .

۞ وينبغي أن تقابل الزوجة المسلمة تعاون زوجها المسلم بالشكر والتقدير، والاحترام والتوقير، وعبارات المدح والثناء، وأسمى معاني الحب والوفاء .

وأن تشعره بقوامته، وأنه أهل لذلك، وهو جدير بسيادة الأسرة، وتعاونه إنما هو من أجل رحمته بها، وتوفير الراحة لرعيته وهي من جملتهم، وذلك ببذل جهده من أجل سعادتهم، على حد قوله : «سيد القوم خادمهم» .

وعليها أن تظهر بذلها لقصارى جهدها، وكامل وسعها، ولتحذر الإهمال واللامبالاة، والتمرد إذا وجدت في زوجها رقة ولِيناً، فإن ذلك يقلبه عليها، ويفسد المواد بينهما .

- إن قضية التعاون المنزلي من القضايا التي يقع فيها كثير من التفريط والإفراط من قبل الأزواج والزوجات، فتملأ لذلك حياتهما بالمنغصات، ولما كنا ننشد الحياة السعيدة في ظل الإسلام، فإني أقدم هذه القواعد راجياً اللّه أن تحقق المقصود، وتبلغ المنشود .

فأقول لأخي الزوج المسلم : عليك ما يلي :

- الاقتداء برسول اللّه - ﷺ - في عشرة أهله، وكفى بذلك توجيهاً، «لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة»(١) .
- النظر إلى الزوجة على أنها شريكة وحبيبة لا خادمة وأمة، فتلك نظرة الإسلام والأخيرة نظرة الجاهلية .
- خفض الجناح، والتنازل عن الكبرياء، فذلك لا ينقص من رجولتك إنما يزيدك عزاً ووقاراً، وتقديراً واحتراماً .
- تعامل مع الزوجة من منطلق المودة والرحمة لا الغلظة والقسوة .

وأقول لأختي الزوجة المسلمة : التزمي بما ذكرته لك سابقاً من المقابلة بالشكر والتقدير ..

❑ التشاور :

من التوجيهات الربانية الجليلة، والسنن النبوية العظيمة، في كثير من نظم الإسلام، وجوانب الحياة : الشورى .

---

١) الأحزاب : ٢١

قال اللّه تبارك وتعالى :

﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على اللّه إن اللّه يحب المتوكلين﴾(١) .

وأثنى اللّه تبارك وتعالى على المؤمنين لاتصافهم بالشورى

فقال سبحانه وتعالى : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾(٢) .

❁ ومن مجالات الحياة التي تدخلها الشورى مجال الحياة الزوجية، فينبغي للزوج المسلم أن يراعي هذا المبدأ الإسلامي العظيم ليسعد به، ويسعد زوجته، خصوصاً وأن ذلك المبدأ كان من هدى رسول اللّه - ﷺ - في عشرة أزواجه، وهديه - ﷺ - هو خير الهدى .

وقد ورد في ذلك آثار عامة وأخرى خاصة .

❁ فمن العام :

عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال :

«ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من النبي - ﷺ -» .

❁ وروي عن أنس - رضي اللّه عنه - عن النبي - ﷺ - قال :

«ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»(٣) .

❁ ومن الآثار الخاصة :

تلك الواقعة العظيمة عند صلح الحديبية .

لما فرغ - ﷺ - من كتابة الصلح قال لأصحابه :

قوموا فانحروا ثم احلقوا، فلم يقم رجل منهم، حتى قالها ثلاث مرات .

---

١) آل عمران : ١٥٩ .
٢) الشورى : ٣٨ .
٣) الطبراني ، وله شواهد يتقوى بها .

فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة زوجته - رضي الله عنها -، فذكر لها ما لقي من الناس .

فأشارت عليه أم سلمة قائلة : يا رسول الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك - أي ضحيتك - وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فلما رأى المسلمون ما صنع النبي - ﷺ -، قاموا عجلين، ينحرون هديهم ويحلقون(١) .

✿ تلك يا أخي الزوج المسلم شذرة من هدي النبوة في مشورة أهله، وعمله - ﷺ - بما أشارت به زوجته في ذلك الأمر الجليل الذي أهم رسول الله - ﷺ - .

أما ما يروى من قولهم : «شاوروهن وخالفوهن»، «طاعة المرأة ندامة» فأحاديث موضوعة ولا أصل لها .

✿ فاحرص يا أخي على مشاورة زوجتك فإن ذلك خيراً كثيراً لك ولها، وإدخالاً للسرور عليها .

فبالشورى : تطيب خاطر زوجتك، وتشعرها بتقديرك لها، ومنزلتها عندك وبذلك تدوم وشائج المودة والمحبة، وتتوصلون للرأي الصواب، وتقل الأخطاء، وتمرنها على دقة التفكير وحسن تدبير الأمور، وتشعرها بمسئوليتها فتزيد من همتها وتنمي مواهبها .

✿ والأمور التي يستشير فيها الزوج زوجته ينبغي أن تكون مما لها به علم وخبرة، ودراية وقدرة، وصلة وعلاقة، ومن ذلك : تدبير نفقات المنزل في المطعم والمشرب والملبس، وتربية الأولاد وتسميتهم، ونوعية المسكن والأثاث، والمسائل العائلية الخارجية بقدر، وتحديد أيام الفسحة والزيارات، وشراء الهدايا في المناسبات.. إلى غير ذلك مما يتصل بالمرأة .

كذلك يستشيرها في شئون الدعوة الخاصة بالمرأة إن كانت من أهلها، ونوعية الثقافة والكتب اللازمة والأشرطة التسجيلية النافعة .

---

١) البخاري .

● **من آداب الشورى :**

وأثناء التشاور على الزوج أن يراعي ما يلي :

✿ أن يعرض الموضوع ويطلب من زوجته أن تبدي رأيها بجد، ويشعرها باحتياجه الماس إلى سماع ما عندها من خير .

✿ ألا يبادر في القطع برأي قبل دراسته جيداً ويعلمها ذلك، ليتعودوا على التأني والتروي في أمورهم «فالتأني من الرحمن والعجلة من الشيطان» .

✿ أن يعلمها أن المطلوب إبداء الآراء لا إملاء الآراء، ويكون لها قدرة عملية في ذلك، فلا يتعصب لرأيه، بل يتنازل عنه متى رأى الصواب معها .

✿ ألا يغضب إذا أبدت زوجته ملاحظات وجيهة ترد رأيه .

✿ ألا يسفه رأيها إن كان خطأً، بل يناقشه برفق، ويوقفها على مأخذه حتى تقتنع راضية .

✿ أن يكون لبقاً في ختم مجلس الشورى، فيشكر لها رأيها الصواب، وجهدها على كل حال، ويشعرها بعظمة هذا المبدأ الإسلامي، وآثاره الطيبة في تحقيق سعادة الزوجين بمثل هذه الجلسات الزوجية .

فهذه الشورى تؤتي الشورى ثمارها الطيبة. وتكون عاملاً من عوامل السعادة الزوجية .

❑ التـــزاور

من توجيهات الإسلام العظيمة، التي تلبي حاجة الفطرة فتسعدها، الحث على زيارة الأقارب والأصدقاء وأهل الخير، وعيادة المريض.. وهذه التوجيهات للرجل والمرأة على السواء .

وأولى الناس بالاستجابة لها، والتعاون على العمل بها الزوج المسلم والزوجة المسلمة .

وإن في اصطحاب الزوج المسلم لزوجته المسلمة عند زيارة الأقارب والأصدقاء وأهل الخير سعادة عظيمة للمرأة، لتمكينها من الحصول على ثواب عظيم، وفوائد جليلة تعود عليها بالخير .

وقد ورد في فضل التزاور في اللّه أحاديث كثيرة أسو ق منها ما يلي :

- عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – عن النبي – ﷺ – : «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد اللّه تعالى على مَدْرَجَته(١) ملكاً، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية. قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها(٢) عليه .

قال : لا، غير أحببته في اللّه تعالى .

قال : فإني رسول اللّه إليك بأن اللّه قد أحبك كما أحببته فيه»(٣) .

- وعن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»(٤) .

تلك بعض الآثار النبوية العظيمة في فضل التزاور في اللّه، والحث عليه، ولا شك أن ذلك يثمر أعظم الثمار، ففي التزاور : تلبية لاحتياجات الفطرة الاجتماعية، وإذهاب الملل عن الزوجة، وطرد للوحشة نتيجة الجلوس، وإذهاب للملل عن الزوجة، وطرد للوحشة نتيجة الجلوس الطويل في البيت وحيدة، وتجدد للنشاط، ففي الجديد لذة ونشوة مطربة، وزيادة للخبرات .

وحتى يكون التزاور مثمراً، يعود على الأسرة بالسرور والسعادة، لا المنغصات والتعاسة، يجب على الزوج أن يحسن اختيار النوعية التي يزورها أو يطلب زيارتها، ويصطحب زوجته معه فيها، أو يسمح لها بها .

---

١) أرصد على مدرجته : كل يحفظه في الطريق .
٢) تربها : تقوم بها، وتسعى في صلاحها .
٣) مسلم .
٤) الترمذي، ابن ماجه (حسن) .

فالناس أشكال وألوان، ومعادن أصيلة وزيوف، وقد حثنا الإسلام على صحبة الصالحين الأخيار .

❁ عن أبي سعيد الخدري – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه – ﷺ – :

«لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»(١) .

❁ وعن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – أن النبي – ﷺ – قال :

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(٢) .

ولن يعدم المرء رجالاً صالحين، ونساءً صالحات .

❁ وعن أبي موسى الأشعري – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه – ﷺ – :

«إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك(٣)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة»(٤)

ويضاف إلى صلاح النوع وخيرته مراعاة الانسجام والتفاهم حتى يؤتي التزاور ثماره، ولا يكون ثقيلاً .

فتوثق العلاقات، وتقوي الصلات، وتتبادل بكثرة الزيارات مع ذوي التفاهم والانسجام .

❁ وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – عن النبي – ﷺ – قال :

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(٥) .

والمراد بالتعارف والتناكر التقارب في الصفات والطباع والتفاوت فيها .

---

١) أبو داود ، الترمذي (حسن) .
٢) أبو داود ، الترمذي (حسن) .
٣) يحذيك : يعطيك .
٤) متفق عليه .
٥) مسلم .

نعم، إن الناس معادن، فمنهم من تكون العلاقة به جميلة إذا كانت عن بعد، وبلمس خفيف .

ومنهم من لا يُمَل من قربه والتداخل معه، ولله في خلقه شئون. وعند تحديد نوعية العلاقة قرباً أو بعداً، والتزاور قلة أو كثرة، لا يجوز للزوج أن ينفرد بهذا التحديد، بل عليه أن يتعرف من زوجته على الأسرة التي تستريح إليها، وتتفاهم معها.. من الأسرة التي هي غير ذلك .

كذلك عليه أن يكون لماحاً، حساساً، مدركاً لآثار التزاور على سعادتهم في الأسرة بالزيادة والنقصان .

حينئذ يكون التحديد عادلاً، لا يضيع فرص خير، ولا يجلب متاعب ومشاكل .

ومن الأمور الهامة التي يجب أن توضع في الحسبان، ولا تغيب عن البال، وتراعى عند التزاور ليكون بهيجاً، أن ينسق الزوج مع زوجته، أو هذه الأسرة مع تلك برنامجاً نافعاً يطبق بطريقة حكيمة لبقة يعود على الأسرتين بالسعادة والبهجة .

نعم، إن البعض قد يقول : إن التزاور في الغالب يكون للترويح وإذهاب الملل.. فما دخل البرنامج هنا ؟!

أقول : إنني أدرك هذا، وليس بخاف عليّ، ولست أقصد ولا أحرص على أن تأخذ الزيارة طابع الندوة الثقافية، واللقاءات العلمية .

ومع هذا فإنني أدعو إلى أن يكون هناك برنامج متفق عليه يطبق بلباقة وحكمة، حتى لا تأخذ الزيارة طابع اللغو، وقتل الوقت، وتخلو من الفائدة، فتصبح لقاء حسرة وندامة يوم القيامة .

وأريد بالبرنامج أن يكون في الزيارة طرق لجوانب يحتاج إليها الزوجان في حياتهما، وتدفعهما قدماً إلى السعادة، وتمسح عنهما الآلام التي تقابلهما..، وتقوي صلتهما بربهما.. كل ذلك يتناول بروح الترويح المنشطة، والتعارف المؤنسة، وتجاذب أطراف الحديث المسلية، والحكاية الطريفة والفكاهة الخفيفة وتبادل الخبرات، والتناصح من الله مباشرة أو غير مباشرة حسب ما يقتضيه الحال .

بهذا يكون التزاور لقاء خير وبركة، وترويح وتفريح، وتسلية وإيناس وفوائد ومنافع، وصلاح وإصلاح .

❑ آداب السفر :

قد يضطر الزوج إلى السفر، وفراق أهله، لسبب من الأسباب كالعمل طلباً للرزق، والسفر من أجل نشر الدعوة، أو الجهاد في سبيل اللّه ..

ومع أن في السفر فرقة وبعداً عن الأحبة، إلا أن الإسلام بعظمته استطاع أن يخفف الآمه، ويبدد أحزانه، ويغرس مكانها السعادة، وذلك عن طريق التحلي بجملة آداب رسمها لأتباعه .

فمع هذه الآداب التي يدخل بها الزوج على زوجته السعادة، ويخفف بها الآلام .

- وداعهم ووصيتهم بالخير :

قبل السفر يستحب للزوج أن يجلس مع زوجته جلسة إيناس وحنان، وتناصح وتواصي بالحق وتواصي بالصبر، ويذكرهم أنهم في رعاية اللّه الذي لا تضيع ودائعه، ويدعو لهم بالخير، ويخلل ذلك القبلات الحارة، والأحضان الدافئة، ويعدهم بدوام الاتصال، وسرعة العودة .

✿ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه - ﷺ - : «من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف : أستودعكم اللّه الذي لا تضيع ودائعه»(١) .

- طلب الدعاء منهم :

كذلك يستحب أن يطلب الزوج المسافر من زوجته أن تدعو له بالتوفيق والسداد.. ويشعرها بحاجته الماسة إلى ذلك، ففي هذا تقدير لها، وبيان لمنزلتها عند زوجها، من شأنه أن يقوي رابطة الحب بينهما .

✿ عن أنس - رضي اللّه عنه - قال :

جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : يا رسول اللّه، إني أريد سفراً، فزودني .

---

١) أحمد .

فقال : زودك اللّه التقوى .

قال : زدني .

قال : وغفر ذنبك .

قال : زدني .

قال : ويسر لك الخير حيثما كنت»(١) .

- الوصية بهم، وتزويدهم بالنفقة

ومن الآداب الهامة، أن يوصي الزوج إخوانه الأمناء، وأصدقاءه الأتقياء.. برعاية أسرته، وتفقد شئونها، وإيناسها في غيبته ويزود أهله بالنفقة اللازمة.. كل ذلك مما يخفف آلام الفراق، بل ويدخل السرور على نفس الزوجة لاهتمام زوجها بها .

وكان من هدى المصطفى - ﷺ - أن يخلف بعض كبار الصحابة لرعاية شئون النساء والصبيان .

❁ عن سعد بن أبي وقاص - رضي اللّه عنه - قال : «خلف النبي - ﷺ - علياً في غزوة تبوك، فقال : يا رسول اللّه، تخلفني في النساء والصبيان ؟

فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ ألا أنه لا نبي بعدي»(٢) .

- الاتصال بهم :

مما يشعر الزوجة باهتمام زوجها بها، وحبه لها، ويجلب السعادة لها أن يداوم الزوج على الاتصال بها بأي وسائل الاتصال، ويسأل عنها، ويطمئن عليها، فالزوج الموفق يتصل بأهله عن طريق الهاتف يسليها ويوصيها..، أو يراسلها بالخطابات يعبر عن أشواقه ويستعيد معها ذكرياته، ويذكرها باللّه تبارك وتعالى وتقواه، ويشعرها بأنه لا يفارق ذكرها الطيب، فيسكب هذا الاتصال السعادة في نفسها .

---

١) الترمذي (حسن) .

٢) متفق عليه .

- سرعة العودة إليهم :

مما يسعد الزوجة عند سفر زوجها أن يعدها بسرعة العودة بمجرد إنهاء مهمته، شوقاً إليها، وشعوراً بالسكن معها.. فقد كان - ﷺ - يحث المسافر على تعجيل الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته تخفيفاً عليه وعليها :

✿ عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه - ﷺ - قال :

«السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نَهمه(١) من سفره، فليعجل إلى أهله»(٢) .

✿ وعن أبي سليمان مالك بن الحويرث - رضي اللّه عنه - قال : أتينا رسول اللّه - ﷺ - ونحن شبَبَة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول اللّه - ﷺ - رحيماً رفيقاً فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه فقال : «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلو كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»(٣) .

✿ وقد نهى أمير المؤمنين عمر - رضي اللّه عنه - عن أن يبقى الجندي في الرباط أكثر من ستة أشهر لما رآه من تأثر الزوجة بذلك(٤) .

اصطحاب الهدية

ويحسن بالزوج عند عودته أن يحمل معه هدية جميلة لزوجته، يسرى بها عنها، ويدخل السرور عليها، ويعبر عن تقديره لها، فإن ذلك من شأنه أن يزيد المحبة والألفة بينهما .

ومن مأثور القول : «تهادوا تحابوا» .

ومن أعظم مناسبات الهدية، اللقاء بعد الغيبة .

---

١) نهمه : مقصوده .
٢) متفق عليه .
٣) متفق عليه .
٤) سيأتي تفصيل القصة عن الكلام عن (الجماع) انظر ص٨٢

- عدم المفاجاة :

ومن آداب السفر أن يخبر الزوج زوجته بموعد مجيئه إذا أمكنه ذلك، ولا يأتيهم بغتة، ولا ليلاً بلا إعلام سابق، وذلك حتى تأخذ المرأة أهبتها، وتتجمل بزينتها استعداداً للقاء زوجها، وفي ذلك سعادتها ولذتها .

❁ عن جابر - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه - ﷺ - قال :

«إذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً»(١) .

«إذا جئت من سفر، فلا تأت أهلك طروقاً، حتى تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة، وعليك بالكَيْس» .

الطروق : المجيء ليلاً .

تستحد : الاستحداد : حلق الشعر حول الفرج .

المغيبة : التي غاب عنها زوجها .

الشعثة : البعيدة العهد بالغسل وتسريح الشعر والنظافة .

وفي رواية : «كان - ﷺ - ينهاهم أن يطرقوا النساء لئلا يتحولوهن، ويطلبوا عثراتهن»(٢) .

❁ وكان - ﷺ إذا وصل قبل الصبح، انتظر حتى الغداة، وأرسل إلى أهله يعلمهم بالقدوم حتى يتجملوا بالزينة التي تعجبهم .

- صحبة أهله في السفر :

إذا أمكن الزوج أن يصحب أهله معه في السفر، ولم يكن هناك مانع، ففي ذلك خير عظيم، وسعادة لها، وذلك من هدى النبي - ﷺ - في عشرة أزواجه :

❁ عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت :

«كان رسول اللّه - ﷺ - إذا أراد سفراً ضرب القرعة بين نسائه، فأيتهن خرج

---

١) متفق عليه .

٢)

٣) رواه الخمسة إلا أبو داود

اسمها خرج بها معه»(١) .

❁ وفي تلك الصحبة فوائد كثيرة تسهم في سعادة الزوجين :

- فهي فرصة لمزيد من التعارف والانفتاح، والكشف والاتضاح، ولذلك سمي السفر سفراً لإظهاره المرأ وأخلاقه.. على حقيقتها .

- وهي فرصة لإذهاب الملل بتغيير المألوف .

- وهي فرصة للتقارب والتصافي بعيداً عن مشاغل الحياة والمنزل.. الكثيرة .

- وهي فرصة للتعود على الخشونة والتحمل، فيؤدي ذلك إلى شكر النعمة : نعمة الاستقرار في المسكن والمأكل والمشرب، والمنام ..

هكذا يا أخي الزوج المسلم يكون السفر مخففاً للآلام، محققاً للسعادة في ظل آداب الإسلام .

❑ الإنفاق :

من مسئوليات الزوج الكبرى، وحقوق الزوجة الأولى، أن ينفق الزوج على زوجته، وهذا الإنفاق إذا كان بسخاء لا بخل فيه، فإنه يسهم في استقرار الأسرة، وسعادة الزوجة. ونظراً لأهميته فقد أمر اللّه به ورسوله .

❁ قال اللّه تبارك وتعالى :

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل اللّه بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾(٢) .

❁ وقال سبحانه وتعالى :

﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللّه لا يكلف اللّه نفساً إلا ما آتاها﴾(٣) .

❁ وعن معاوية بن حيدة - رضي اللّه عنه - قال :

«قلت : يا رسول اللّه، ما حق زوجة إحدانا عليه ؟

---

١) رواه الخمسة إلا أبو داود .
٢) النساء : ٣٤ .
٣) الطلاق : ٧ .

قال : أن تطعمها إذا طعمت، وكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجرها إلا في البيت»(١) .

معنى «لا تقبح» أي : لا تقل قبحك اللّه.. ونحو ذلك « لا تهجرها إلا في البيت» : لا تهجرها إلى في المضاجعة أما الكلام فلا تهجرها فيه .

✿ فيجب أن يكون الزوج المسلم سخياً كريماً في هذا الباب، وأزف إليه هذه البشرى الإسلامية العظيمة التي توضح عظم أجر الإنفاق على الأهل، مما يجلي حرص الإسلام على سعادة الحياة الزوجية بمراعاة هذا الجانب .

✿ عن أبي هريرة – رضي اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه – ﷺ – :

«دينار أنفقته في سبيل اللّه، ودينار أنفقته في رقبة(٢)، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»(٣) .

✿ وعن سعد بن أبي وقاص – رضي اللّه عنه – أن رسول اللّه – ﷺ – قال له :

«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّه إلى أجرت بها حتى ما تجعل في امرأتك»(٥) .

ذلك قليل من كثير مما ورد في فضل الإنفاق على الأسرة، فاحرص عليه، فإنه يحببك إلى زوجتك، ويجلب سعادتها وسعادتك، وييسر طاعتها لك، وجميل عشرتها معك ..

✿ فالزوج المسلم الكريم هو الذي يلبي طلبات أهله أولاً بأول، ويعفهم عن النظر إلى الغير ما دام في قدرته ذلك، وليس في تلك الطلبات إرهاق .

وهو الذي ينتهز الفرص والمناسبات السارة فيوسع على أهله، ويتحفهم بهدية

---

١) أبو داود ، ابن ماجة (صحيح) .
٢) أي : في عتق رقبة وتخليصها من الرق .
٣) مسلم .
٤) متفق عليه .
٥) أبو داود (صحيح) .

فاخرة، كزينة ساحرة، وثياب خلابة وحلي جذابة، وعطور منعشة، وساعة مدهشة، ومأكولات شهية، ومشروبات هنية.. إلى غير ذلك مما يدخل السرور على زوجته .

❁ ويحسن بالزوج الكريم السخي، أن يجعل لزوجته «مصروفاً» شهرياً مثلاً تنفقه في شئونها، إذا كانت حسنة التصرف، حسنة التدبير .

فمن النساء من يكن كذلك، ويحتجن إلى الإنفاق في بعض الشئون الهامة، وأبواب الخير الطيبة، ويمنعهن الحياء أن يسألن أزواجهن .

فالكريم السخي يعطي مثل هذه بلا طلب ما دامت تنفقه في الخير : كالتصدق على الفقراء والمساكين، وصلة رحمه ورحمها، والإحسان لجارتها، والإهداء في المناسبات السعيدة لصديقاتها ..

❁ وفي الختام نحذر المسلم من مرض البخل وكذلك الإسراف. فالبخل يسبب ضيق الزوجة وتبرمها، وببغض زوجها إليها، ويدفعها إلى مالا تحمد عقباه فتمد يدها إلى مال زوجها بلا إذنه ولا علمه، مرة بحق، وبلا حق مرات. فكيف بك أيها الزوج إذا علمت أن زوجتك فعلت ذلك ؟ مما لا شك فيه أنك ستغضب، وتفعل.. وتفعل.. مما يزيد الحياة الزوجية كدراً وتنغيصاً .

فأولى بك إن كنت تريد سعادة في الدنيا، وفوزاً ونعيماً في الآخرة، أن تتبع هدى رسولك - ﷺ - خير الأزواج في عشرة أزواجهم، فتجنب البخل .

وإليك هذا الحديث الرادع عن هذا الخلق الذميم .

عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ :

«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»(١) .

وفي مسلم

«كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»(٢) .

وكذلك الإسراف فيه مضرات ومضرات .

---

١) أبو داود (صحيح) .
٢) مسلم .

قال تعالى :

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾(٣) .

وقال سبحانه :

﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾(٤) .

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾(٥) .

فاحذر سلوك إخوان الشياطين، وعليك بسلوك عباد الرحمن

﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾(٦) .

فعليك بالاقتصاد بلا تقتير، والسخاء بلا تبذير، تحقق السعادة والسرور لك ولمن تعول .

❑ التطيب والتزين :

- إن الله جميل يحب الجمال :

من الأشياء التي يحبها الله ورسوله تزين المرء وتطيبه، ونظافته وتحمله. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال :

✿ قال النبي - ﷺ - : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .

فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، أفذلك من الكبر

قال : إن الله جميل يحب الجمال. الكبر : بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس»(١) .

✿ وتزين الزوج لزوجته من الأمور التي تحبب الزوجة في زوجها، وتجذبها إليه،

---

٣) الأعراف : ٣١ .
٤) الإسراء : ٢٦ : ٢٧ .
٥) الإسراء : ٢٩ .
٦) الفرقان : ٦٧ .
١) مسلم

وتجعلها تأنس بجلوسها معه، وتسر بالنظر إليه، فتقوى وشائج الألفة والمحبة وترفرف السعادة والهناء على هذا العش الجميل .

- الزينة والنظافة من الفطرة :

❁ لذلك حث الإسلام المسلم على دوام الزينة والتجمل، والنظافة والتعطر.. وعد ذلك من سنن الفطرة، وهدى المرسلين .

❁ عن أبي أيوب قال : قال رسول اللّه - ﷺ - :

«الحياء، التعطر، والسواك، والنكاح من سنن المرسلين»(٢) .

فعلى الزوج أن يهتم بزينة نفسه، ويزيل كل ما يتعارض مع الزينة والجمال والنظافة..، ويعمل بما جاء من سنن الفطرة :

❁ عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه - ﷺ - :

«الفطرة خمس : الختان، والاستحداء(٣)، وقص الشارب، وتقليم الأضافر، ونتف الإبط»(٤) .

وفي أحاديث أخرى زيادة على ذلك منها :

« غسل البراجم، وانتقاص الماء»(٥) .

- عليك بالطيب :

كان - ﷺ - أعطر الناس، وأطيبهم رائحة، وكان يحب الطيب، ويأمر أصحابه به، لأن التطيب يقوي بين الزوج والزوجة المحبة والألفة، ويطرد الكراهة والنفرة .

❁ عن أنس - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه - ﷺ - :

---

٢) الترمذي .

٣) الاستحداء : حلق العانة أي : الشعر حول الفرج .

٤) متفق عليه

٥) مسلم . البراجم : مفاصل الأصابع. انتقاص الماء : الاستنجاء .

«يحبب إلي من دنياكم : الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٦) .

❁ وكان من هديه - ﷺ - ألا يرد الطيب، وكان ينهي عن رده، حرصاً على إشاعة الجمال والزينة :

❁ قال - ﷺ - :

«من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه طيب الريح، خفيف المحمل»(٧) .

❁ «وكان رسول اللّه - ﷺ - لا يرد الطيب»(٨) .

❁ وكان - ﷺ - يرشد أصحابه لأفضل الطيب .

«أطيب الطيب : المسك»(٩) .

- أحب أن أتزين لزوجتي :

كان الصحابة رضوان اللّه عليهم، يحبون أن يتزينوا لزوجاتهم عملاً بتوجيه القرآن .

قال تعالى :

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾(١٠) .

وقد كان ابن عباس - رضي اللّه عنهما - يقول :

«إني لأحب أن أتزين لامرأتي، كما أحب أن تتزين لي»(١١) .

- امرأة تنفر من زوجها :

إن إعراض الزوج عن التزين والتطيب.. يؤدي أحياناً كثيرة إلى نفرة الزوجة منه.

---

٦) النسائي، أحمد (صحيح) .
٧) مسلم .
٨) البخاري .
٩) أبو داود (صحيح)
١٠) البقرة : ٢٢٨ .
١١) ابن أبي حاتم، وابن جرير .

❁ دخل على أمير المؤمنين عمر زوج أشعث أغبر، ومعه امرأته، وهي تقول : لا أنا ولا هذا(١٢) يا أمير المؤمنين، فعرف كراهية المرأة لزوجها .

فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعر رأسه، ويقلم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته فاستغربته، ونفرت منه، ثم عرفته، فقبلت به، ورجعت عن دعواها، فقال عمر :

وهكذا فاصنعوا لهن، فواللّه إنهن ليحبن أن تتزينوا لهن، كما تحبون أن يتزين لكم» .

❁ وقد ورد في بعض الآثار :

«اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا، وتزينوا وتنظفوا، فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم» .

فعلى الزوج المسلم أن يلتزم سنن الفطرة، ويعمل على إزالة كل ما هو كريه من العرق وغيره، ويحافظ على غسل الجمعة على الأقل كما وردت بذلك السنة، يحقق السعادة له ولأهله.. ومن الجدير أن أشير إلى أن الآثار في الحث على النظافة والتزين.. كثيرة جداً، وذلك لأهميتها في سعادة الحياة الزوجية .

وهذه مجموعة من القضايا الهامة التي يُعَدّ إدراكها من المعالم الرئيسة التي تؤدي إلى التناغم والانسجام بين أطراف المعادلة الإنسانية.. بين الرجل والمرأة.. فهي مداخل إلى قلب حواء وهي في الوقت ذاته مفاتيح من الخير والنور والبركة لحياةٍ أُسَرِيَّةٍ هانئة هادئة بعيدة عن كل ما ينغّص أجواءها أو يكدّر استقرارها بل على العكس يرسم لها مناهجها وأهدافها وغاياتها السامية

---

١٢) أي : لا يمكن أن التقي أنا وهذا، فخلصني منه .

حواء في الحضارات الأخرى

من نافلة القول أنَّ الإسلام أعطى للمرأة حقوقاً كاملة، لم تكن تحلم بها في أية ديانة أو حضارة أخرى. وحتى نصل إلى معرفة هذه الحقيقة الساطعة لا بُدَّ من ذكر موقف الحضارات الأخرى من المرأة حتى نأخذ صورة واضحة كافية شافية نستطيع من خلالها عمل مقارنة بين مكانة المرأة في كافة الحضارات ومكانتها في الإسلام لنقول لأخواتنا المسلمات : «لا تنخدَعْن بدعوات التحرر الزائفة لأن الإسلام منحكن كل الحريات والحقوق ولا يمكن لكنَّ أن تعرفن ذواتكن وقيمتكن إلاّ باستجابتكن لدين اللّه عز وجل وايمانكن بالحق الذي أُنزل على محمد ﷺ» .

❑ المرأة في الحضارة الهندية :

كان البراهمة يعتبرون المرأة شيئاً مهملاً، مفروضاً على الرجل ليس من حقها الإدلاء بأي رأي في أي موضوع، حتى ولو كان هذا الأمر متعلقاً بحياتها الشخصية. وفي شريعة «ماني» كانت الفتاة ملكاً لوالدها، ثم ملكاً للزوج، فإن مات الزوج فلا حياة لها بعده، وعليها أن تحرق مع جثة الزوج على موقد واحد، فإذا نجت من الحرق، فلأخ الزوج حق ضمها إلى نسائه أو إهدائها للحاكم.. كما كان لطبقة رجال الحرب الحق في الاستيلاء على أية فتاة، وهو نظام معروف باسم الجبابرة. وجاء في شرائع الهندوس : «ليس الصبر المقدر والريح الموت والجحيم والسم، والأفاعي، والنار أسوأ من المرأة» .

❑ المرأة في حضارة فارس :

رأي «مزدك» أن المرأة سبب كل جريمة، وذلك لتكالب الرجال عليها وحتى يقضي على الجريمة أباح المرأة للجميع، كما أجاز زواج الابن بأمه، والأب بابنته، وبالطبع لم تحدد الزوجات بل أصبح الأمر كلا مباحا بلا ضابط ولا رابط، وللأخ حق اشتهاء زوجة أخيه، وعلى الأخ ألاّ يمانع حتى يكمل ايمانه وترضى الآلهة ..

وكانت شريعة «حمورابي» في بابل تجعل المرأة شيئاً من عداد الماشية !! هذا بالنسبة لنساء الطبقات الشعبية، أما نساء الطبقة الراقية فكان الحجاب شديداً عليهن، حتى لقد كنّ لا يخرجن إلاّ في هوادج مرخاة عليها السدول، حتى حيل بينهن وبين آبائهن واخوانهن.. أما الخليلات والخطايا فكنّ يتمتعن بقسط عظيم من الحرية لأنهن يرفهن عن السادة» .

❑ المرأة في افريقيا : "وسط جنوب افريقيا"

كانت المرأة تتزوج بعدد كبير من الرجال، مما ينتج عنه ضياع النسب، كما كانت في مقابل الاستحواذ على أكبر عدد من الرجال تعمل هي في الحقل، وتقوم بمشقة الصيد، وكانت من أجل أن تتجمل للرجال تقطع وتشق في أماكن من لحمها وجسدها، وتخطط خلقتها، وتتحمل في سبيل ذلك الكثير !

❑ المرأة في الحضارة الصينية :

لم يكن من حق الزوجة الجلوس بجوار الزوج عند تناول الطعام أو في الحديث العادي، بل عليها أن تركع بجوار قدميه.. ذلك لأنهم اعتبروا المرأة أقل كينونة من الرجل، وإذا مات الزوج فعلى الزوجة أن تدفن معه حية، إخلاصاً له، فليس من حقها التمتع بالحياة من بعده. هذا بخلاف إذا ماتت الزوجة، فللزوج أن يتزوّج بامرأة أخرى في اليوم الثاني مباشرة وبلا حرج !

❑ المرأة في الحضارة اليونانية القديمة :

جعلوا للرجل الحق المطلق في فصم عرى الزوجية، بينما لم يمنحوا المرأة حق طلب الطلاق، إلاّ في حالات استثنائية، بل وضعوا العراقيل في سبيل الوصول إلى هذا الحق. ومن ذلك أن المرأة إذا أرادت أن تذهب إلى المحكمة لطلب الطلاق، تربص لها الرجل في الطريق فأسرها، وأعادها قسراً إلى البيت .

وكانت المرأة مسلوبة الحرية والملكية، بل إنّ «أرسطو» ملك المنطق وأصل الفكر، كما يُسمى، أعرب عن أنه من أسباب سقوط «اسبرطة» الحرية التي أعطيت للنساء، كما اعتبر المرأة أدنى فعلا من الرجل، وعبَّر عن ذلك بقوله : «لم تُزوَّد المرأة بأي استعداد عقلي يعترف به، وبالتالي فلا شأن لها بالسياسة والعلم» .

كما كان هناك نظام البغايا الراقيات اللاتي يحرصن على الاتصال بوجهاء القوم حتى ترضى عنهن الآلهة !

ولم تكن المرأة في رأي أفلاطون أسعد حالاً بل أكد أن الواجب تداول النساء كما تتداول الحاجات، وأن المرأة أميل إلى الشر منها إلى الخير .

وفي أوج حضارة اليونان تبذلت المرأة، واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات، فشاعت الفاحشة، حتى أصبح الزنا أمراً غير منكر، وحتى غدت دور «البغايا» مركزاً للسياسة والأدب، ثمّ اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن، ثم اعترفت دياناتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة، فمن آلهتهم «أمزوديت» التي خانت ثلاثة آلهة، وهي زوجة إله واحد، وكان من أخوانها رجل من عامة البشر، فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم !

وكل ذلك لم يشبع غرائزهم، حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا لذلك تماثيل «هرموديس واستوجتين»، وهما في علاقة آثمة، وكان ذلك خاتمة المطاف لحضارتهم فانهارت وزالوا .

❑ المرأة في الحضارة الرومانية :

حكموا عليها بالتفاهة واللامعنوية، وقد وضعوا لذلك شعاراً كانوا يترنمون به : «إنّ قيد المرأة لا ينزع». والمرأة عندهم خاضعة خضوعاً مطلقاً للأسرة، وسيطرة رئيس الأسرة تصل إلى حق الحياة والموت، وبيعها بيع الرقيق، أما إذا تزوّجت، أصبحت ملكاً للزوج، وانقطعت صلتها بأسرتها تماماً، وذلك على نحو ما يذكره الأستاذ «جيراند» في كتابة : «القانون الروماني»، ثم سقطت الدولة الرومانية لانغماسها في الترف والشهوة، فعلا صوت يطالب بمقاطعة النساء ونجاسة المرأة، حتى أنّ رجال اللاهوت اجتمعوا ليبحثوا هل المرأة جسم وعقل وروح أم جسم فقط ؟ .

❑ المرأة في العهد القديم "التوراة" :

المرأة متاع يورث إذا مات الزوج، وقد جاء في الاصحاح ٧ المادة ٣٦ ما نصه : «إن المتوفي عنها زوجها إذا لم يترك أولاداً ذكوراً وكان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجاً شرعياً له، ولا تحل لغيره ما دام حياً، إلاّ إذا تبرأ منها، وللرجل حق بيع ابنته بالمال، وليس لها حق الرفض، ذلك لأن المرأة شر محض، كما كانت الشريعة المحرفة التي تنسب لموسى عليه السلام تحرمها حق الإرث إذا كان لها أخ ذكر «واليهود عموماً يعتبرون المرأة لعنة، لأنها هي التي أغوت آدم على الأكل من الشجرة» .

❑ المرأة عند قدماء المصريين :

المرأة في الحضارة الفرعونية القديمة كانت أحسن حالاً من جميع الحضارات ويكفي أن نعرف أنها كانت تتولى الملك إذا فقد الوارث من الذكور للعرش. فتولت المرأة الملك خمس مرات.. وكانت الزوجة جليلة القدر حتى أن الملك لا يكاد يصور على الآثار إلاّ زوجته» .

كما كانت المرأة تنال «مهراً» من زوجها، ولم يكن مباحاً للرجل أن يتزوج إلا امرأة واحدة من طبقته ولكن له أن يتسرى على أن تكون زوجته سيدة سرارية.

وكانت النساء يمارسن التجارة، ويرثن مثل الرجل، ويشترطن أن تنتقل أملاك الزوج كلها إلى ولده إذا تزوّج بأخرى .

❑ المرأة في العهد الجديد "الانجيل" :

لقد هال رجال النصرانية الأوائل ما رأوا في المجتمع من انحلال خلقي شنيع، فاعتبروا المرأة هي المسؤولة عن هذا كله لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال فقرروا أنَّ الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن الأعزب عند اللّه أكرم من المتزوج، وأعلنوا أنّ المرأة باب الشيطان، وأنها يجب أن تستحي من جمالها، لأنه سلاح ابليس للفتنة والإغراء .

لذلك حَثُّوا على التبّل والعزوبية هرباً من الشر.. لكنهم أباحوا الزواج خوفاً من الزنا، ومن يستطيع ضبط نفسه فالأفضل عدم الزواج حتى ينجو بنفسه ويتقرب إلى الرب .

وكانت المرأة لا حق لها في الطلاق تحت أي ظرف، ولا حق لها في العقد «البيع والشراء» .

❑ المرأة عند العرب وقبل الإسلام :

كانت المرأة وصمة عار وكارثة تحل بالأسرة يجب التخلص منها بالوأد، وكانت الأم إذا جاءها المخاض جلست أمام حفرة فإذا وضعت أنثى دفنتها فورا.. أما إذا نجت الفتاة لسبب ما من الوأد، فحين تبلغ السادسة يلبسونها خير الثياب ثم تستدرج إلى حفرة أو بئر حتى إذا ما وصلت إليه يردم فوقها التراب وهي حيّة ..

وقد صوّر القرآن الكريم هذا المشهد أبلغ تصوير حين قال :

﴿وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ وقوله : ﴿وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ..» ثم يُعقب القرآن على ذلك بقوله : ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ .

وإذا ما نجت الأنثى من الوأد، وهي في سن السادسة، وتزوجت فهي مهضومة الحقوق جميعها، ليس لها حق اختيار الزوج. وإذا ما عانت في حياتها الزوجية، واستحالت الحياة فليس لها أن تطلب الطلاق، وللزوج أن يعدد في زوجاته بغير حساب. ولم يكن من حق المرأة أن ترث، لأنها لا تحمي الذمار ولا تدافع عن البيضة، أي : لا تذود عن القبيلة بالقتال .

❑ المرأة في حضارة الغرب :

وبالرغم من تقدم المدنية الغربية، ومظاهرها الخداعة في تقديم المرأة في المجتمعات قبل الرجل، وسير الرجل من ورائها نصف خطوة، وتقبيل يدها في الحفلات الرسمية، والتشدق بمساواتها المزعومة بالرجل.. بالرغم من هذا كله، فهي ما زالت تخدع وتُغبن وتستهلك، فحتى هذا الوقت نجد ما يلي :

١ – لا تزال المرأة في كثير من البلدان الغربية محرومة من حق الميراث .

٢ – لا تزال المرأة لا تملك حرية التصرف في مالها، بيعاً أو شراء بدون إذن زوجها.

٣ – لا تزال تفقد اسمها بمجرد الزواج، وتصبح زوجة فلان .

٤ – ليس من حق المرأة في الغرب الطلاق تحت أي ظرف، ومن أجل ذلك تلجأ الزوجات للتحايل، والخروج من الملة، أو المخالفة الآثمة .

٥ – المرأة الغربية مكلفة بالإنفاق مناصفة مع الرجل، في جميع المصروفات لأنها تعمل مثله تماماً، وإن كان هو لا يقوم بالحمل والولادة ولا الرضاع .

٦ – تُشجع المرأة على العري، والإعلان عن جسدها، ويُقْذف بها في الحانات والمراقص والمواخير، والاعلانات للمتاجرة بجسدها.. وحتى تكسب رزق يومها.

٧ – ما زالت المرأة الغربية تبحث بنفسها عن الزوج المنشود، وتختلط في سبيل ذلك بكل ما هبّ ودبّ، وتتعرض لأقسى التجارب، حتى تُوفق إلى الرجل الذي تتراضى معه، هذا إن وُفقت !

٨ – ما زالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عرض الفتاة، وإلى عهد قريب كان قانون البغاء يعتبر سن البلوغ للفتاة هو الثانية عشرة من عمرها، فاحتُرف البغاء في سن الثالثة عشرة بمعرفة الأهل، وسعياً وراء الربح .

٩ – يُقذف بالمرأة في ميادين القتال، للترفيه عن الجنود، دون المبالاة بما تتعرض له من أهوال الحرب ومعرة الأسر والسبي .

وبعد : أهذه هي صورة المرأة في الإسلام حتى نسمع همسات أو صرخات – من الناعقين الناهقين – عن تحرير المرأة وعن المساواة ؟ من أي شيء يرُاد تحرير المرأة في بلادنا ؟

الجواب : يريد المغرضون المجرمون تحريرها من العفة والشرف والكرامة والحياء لتكون دمية لشهواتهم الحيوانية .

أختاه : احذري هذه الدعوات الباطلة واعلمي أنك حرة مكرّمة موقرة عزيزة كريمة في ميزان الإسلام العظيم

obeikan.com

قضايا جنسية(١)

«لا حياء في الحق» ومن الحق أن يعرف الرجل وتعرف المرأة بعض القضايا الجنسية لأنّ لهذه القضايا الأهمية البالغة في إنجاح الحياة الزوجية والجهل بها قد يهدم الأسرة .

شريعة الإسلام تُعنى بالتثقيف الجنسي وهذه العناية ضرورية لتنظيم وتعديل شهوة البطن وشهوة الفرج من أجل الوصول إلى طريق صحيح يؤدي إلى قيام العمران وانطلاق الدعوة إلى مداها .

جهل الأزواج والزوجات بالنصوص الإسلامية التي تناولت العلاقة الجنسية بينهما في الكتاب والسنة هو سبب رئيسي من الأسباب المحركة للنزاعات الزوجية الدافعة إلى الطلاق أو اللجوء إلى الحرام والزنا .

المجتمع المتماسك المترابط يبدأ من بيت الزوجية ولن يكون هذا الترابط بالمودة والرحمة في بيت الزوجية إلاّ على أساس من السكن النفسي والجسدي العميق. ولن يكون السكن وهناك جهل بما يهدم السكن، وينسف بناءه .

حث النبي ﷺ أصحابه وأمّته على ملاعبة زوجاتهم ومضاحكتهم وكلامهم في أمور العلاقة الجنسية قبل المباشرة ولم يجعله من اللهو المحرم ونهى أن يقع الرجل على امرأته كما تقع البهيمة .

---

١) من أراد التفصيل والأدلة فليرجع إلى كتاب «اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة لعبد القادر أحمد عطا. وهذه النقاط تلخص مضمون الكتاب المذكور .

❁ الإرواء العاطفي هو اللباس بين الزوجين فلا حرج على زوجين أن يستمتعا بأجسادهما ويبث كل منهما الآخر عواطفه بالصورة التي يهواها .

لقد كان رسول اللّه ﷺ كثير التقبيل لنسائه وثبت أنه كان يمصُّ لسان عائشة رضي اللّه عنها وإنه كان يضع فاه على موضع فم عائشة فيما تأكله من اللحم و يما تشربه من الماء .

❁ اللباس المتبادل بين الزوجين هو مجموعة من التعبيرات العاطفية القولية والعملية، ابتداء من الكلمة إلى القبلة إلى حرية النظر إلى ما يحب كل منهما من الجسد، إلى التحسس، إلى الالتصاق الجسدي، حتى المباشرة الجنسية فيكون كل منهما قد لبس صاحبه في متعة غامرة فتكون النتيجة سكون النفس والعقل والقلب والروح من كل الاضطرابات الجسدية والنفسية والعقلية ...

لا شيء يهدد حب الزوج لزوجته قدر ما يهدده امتداد عينيه إلى ألوان الفتنة والجمال المعروضة للناظرين، ولا شيء يقصر حب الزوج على زوجته وحدها قدر ما يقصره حبس عينيه عن مفاتن كل انثى غيرها، وهو ما هدف إليه الإسلام من ضرب الحجاب على كل ما هو مثير في تكوين المرأة. وبهذا الحجاب صيانة للمرأة في شبابها وعند تقدم العمر بها لأنها إن أغوت رجلاً في شبابها تأتي أخرى في قابل الأيام لتغوي زوجها .

إنّ هجر المرأة للبيت يقضي على المودة والرحمة ويحرم المجتمع من جهود نصفه الآخر التي لا يستطيعها غيره.. فعمل المرأة في صورته الحاضرة حدّ من حريتها في الانفراد بزوجها، وعرّضها لأسوأ ما عرفته البشرية من خلائق السوء والفجور ألا وهي الخيانة في العرض .

❁ السرور يشيع في كيان الزوجة على الزوج عند الابتسامة العذبة، وعند عنايتها بمظهرها في ملبسها ونظافتها وزينتها، وتجديد شكل ملابسها وتسريحة شعرها ولين حديثها وجمال مرحها مما يشكل حافزاً للزوج على العودة إلى زوجته سريعاً بعد الانتهاء من عمله. لكنّ الخطر يكمن عندما تعتني الزوجة بزينتها إذا أرادت الخروج من المنزل وتهمل الزينة أمام زوجها لاعتمادها وثقتها

بحب زوجها لها وهي لا تدري أن هذا الحب قد يتبخر ويتلاشى إذا أهملت عنصر الزينة والنظافة في بيتها ونفسها.

«النظافة من الإيمان» ولا شيء يهدد العلاقة الجنسية بالفشل الكامل قدر رائحة الفم، وعفن اللثة والأسنان عند الزوجة والزوج معاً والعلاج معروف : السواك، معاجين، الأسنان، الملح ..

عملية اللقاء الجنسي ليست نهاية المطاف في أي زواجٍ ناجحٍ، وإنّما المقصود هو : خلوة يتم فيها استمتاع كل من الجنسين بكل ما يستهويه في الآخر من السمات والصفات قبل اللقاء الجنسي الذي يحدّ من شدة الهياج عند الطرفين، ولا يحدّ من جوع الجسد إلى الجسد، والعاطفة للعاطفة، والأنوثة للذكورة، والذكورة للأنوثة، فهو جوع دائم قبل اللقاء وبعده وفي كل حال من الأحوال لا يسكته إلاّ السكن بين كل منهما والآخر. ولو كان المراد من اشباع الشبق الجنسي هو الجماع بذاته وحده لما شُرع الاستمتاع بما دون الفرج من الحائض أثناء حيضها .

من منطلق الصراحة في الدين، وعدم الحياء في الحق، والحفاظ على الأعراض من أن تجنح إلى الحرام، وعلى عيون النساء وقلوبهن أن تهفو إلى غريب؛ نقول : إنّ مفهوم السنة هو حرية استمتاع كل من الزوجين بالنظر إلى عورة الآخر وتحسسها، والعبث بها، وكل ما يؤدي إلى تهيئة كل منهما للقاء جنسي ناجح يعقبه اشباع وإعفاف كاملان غير منقوصين .

تجرد الزوجين من ملابسهما عند اللقاء الجنسي، أو عند الخلوة بينهما دون لقاء مسألة تخضع للذوق، ولا تعارضها السنة ولكن لا يجامعها وهما مكشوفان بل يستتر هو وأهله بغطاء. وفي التجريد من الثياب فوائد منها سهولة التقليب يميناً وشمالاً وادخال السرور على الزوجين بزيادة التمتع .

الملاعبة والمداعبة بين الزوجين مقصودة من اجتماعهما على هذا الوجه الشرعي المبارك الذي فيه أجر لقوله ﷺ :

«فهلاّ بكرا تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك» متفق عليه .

وقد بيّن ﷺ أن الملاعبة تكون في القبلة والكلام والقبلة لا تقتصر على الشفتين

والوجه بحكم عمومها، وعموم النصوص، بل يمكن أن تتعداه إلى أي موضع من الجسد يكون للعاطفة نحوه اهتزاز وميل. ويأتي أثناء ذلك وبعده الكلام الذي يتعلق بالعلاقة الجنسية أما الكلام في شئون الحياة والمعيشة الزوجية وأسعار الخضار والفواكه فله وقت آخر .

الحرية مكفولة للزوجين في الشريعة الإسلامية في استمتاع كل منهما بأي وضع جسدي يريده ويهواه من صاحبه ما دام مكان اللقاء واحداً وهو الفرج في غير الحيض "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» البقرة ٢٢٣ . يعني مقبلات ومدبرات ومستلقيات في موضع الولد .

حجم الزوجة وطبيعة جسدها وذوقها، وقدرة الزوج الصحية وذوقه، هي الأمور التي تتحكم في الموضع الذي يهواه الزوجان ويستطيعانه .

صورة المرأة المسلمة في حياتها الزوجية أن تكون شديدة الحياء في غيبة زوجها، وأمامه إذا كان في البيت غيرهما وهذا الحياء هو المطلوب فإذا خلا كل منهما بالآخر نزعت ثوب الحياء وخاصة عند الممارسة العملية للعلاقة الجنسية فهي المرحلة التي يتحقق بها الإعفاف لكل من الزوجين، وكسر شهواتهما أن تتطلّع إلى غير ما أحل الله لهما. ومن ثمّ كان لكل منهما أن ينطلق على سجيّته، وأي يروي ظمأه بالطريقة التي يهواها دون حرج ولا تحفظ .

الثقافة الزوجية لا تعني شروط العقد والوليمة والخطبة والدعاء للعروسين وما أشبه ذلك من أحكام الفقه فحسب بل تعني كذلك الثقافة الجنسية المقصودة من الزواج بالدرجة الأولى شريطة أن تكون هذه الثقافة في ضوء الكتاب والسنة .

هذه الثقافة ضرورية لأن انعدامها يؤد ي إلى انعدام المودة والرحمة وتسبب الخلاف والشقاق والطلاق وانعدامها والجهل بها قد يؤدي إلى شيوع البغاء وشيوع الأمراض النفسية الناتجة عن قلق الحياة الزوجية بين الأزواج ويسبب ذلك إلى هرب الأزواج من بيوت الزوجية إلى المقاهي والأندية الليلية والمسارح فتتحلل الروابط الأسرية والتكافل الاجتماعي .

يمكن الرجوع كذلك إلى كتاب قرة العيون بشرح نظم ابن يامون في النكاح الشرعي وآدابه لكنون الإدريسي الحسني .

لماذا يحتاج آدم إلى حواء

❑ أنتزوج أم لا، ولماذا ؟!

أ : «الزواج من أجمل الأحلام وأحلى الآمال التي أعيش لها وأكافح لتحقيقها كأعزبٍ لم يُقَدَرْ له بَعْدُ أنْ يبني عُشَ الزوجية ويدخل القفص الذهبيَّة وأجزم بأَنَّ هذا هو حال كل الشباب والفتيات في كل عصر ومصر ..»

ب : «أما أنافلا أريد أن أتزوَّج البتَّةَ رغم أني أملكُ مؤن الزواج ولا مانع يمنعني منه !!»

أ : ولماذا يا صديقي.. هلاَّ أفصحت لنا عن الأسباب ؟

ب : لأنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه – لم يتزوج !!

أ : ولكنَّ رسول اللّه ﷺ تزوَّج وهو أسوتنا في المقام الأول وقد حَثَّ على الزواج وَرَغَّب فيه وقال : «النكاح سُنَّتي، فمن أحب فطرتي فليستنَّ بسنتي» أمَّا ما ذكرته من شأن شيخ الإسلام رحمه اللّه فإنَّه الرجل التقي الورع الذي انقطع للعلم والتعليم والدعوة والجهاد وخلفَ لنا ثروة علمية هائلة وغزيرة تزيد على «٢٠٠» مجلد فإن استطعت أن تفعل ما فعله الشيخ أو عُشر ما فعله وصنَّفه وأن تصل إلى مستواه في التقوى والورع والزهد والعفَّة وكبح جماح الشهوة وقهر هوى النفس فسنحصل لك على فتوى تبيح لك أن لا تتزوَّج وسنلتمس لك العذر إنْ لم تفعل .

ب : لقد بدأت اقتنع بوجهة نظركَ ولكن ما هي فوائد النكاح لأنني لا أريد الإقبال على أمر أجهل فوائده ومنافعه وحسناته والحكم أو الحكمة من فعله .

أ : أيها الصديق إنَّ الحكمة – من الأمر أو النهي – أمر تحسينيٌّ زائد على الأصل ؛ والأصل هو الطاعة والامتثال والاستسلام والإتباع بصرف النظر عن الحكمة التي قد تظهر وقد تخفى من الأمر أو النهي.. أمَّا وقد سألت عن فوائد

النكاح فإنّها كثيرة أُوجزُها بما يلي :

- **الفائدة الأولى** : الولد وهو الأصل، وله وُضع النكاح، والمقصود إبقاء النسل وأمّا الشهوة فقد خُلقت باعثة مستحثة .

وقد اقتضت حكمة اللّه سبحانه ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهاراً للقدرة، وإتماما لعجائب الصنعة، وتحقيقاً لما سبقت به المشيئة، وحقّت به الكلمة، وجرى به القلم. وفي التوصُّلِ إلى الولد قربة من أربعة أوجه :

الأول : موافقة محبة اللّه بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان .

الثاني : طلب محبَّه رسول اللّه ﷺ في تكثير من به مباهاته .

الثالث : طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده .

الرابع : طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله .

- أما **الفائدة الثانية** من فوائد النكاح فتكمن في التحصّنِ عن الشيطان، وكسر التوقان، ودفع شرور الشهوة، وغض البصر وحفظ الفرج فمن تزوّج فقد حصّن نصف دينه، فليتق اللّه في الشطر الآخر .

وهناك علاقة وثيقة بين الفائدة الأولى والثانية فالشهوة والولد مُقَدَّران وبينهما ارتباط، فالولد هو المقصود بالفطرة والحكمة، والشهوة باعثة عليه. وفي الشهوة حكمة أخرى سوى تحصيل الأولاد، إذ أنَّ اللذّة في قضاء الشهوة لا توازيها لذّةٌ لو دامت فهي منبهةٌ على اللذاتِ الموعودة في الجنان التي لا تنقطع مما يكون باعثاً على عبادة اللّه والاستقامة على منهج اللّه لتحصيل اللذات الموعودة الدائمة بِنَيْلِ رضوان اللّه والفوز بجنّة اللّه .

«فانظر إلى الحِكمة، ثم إلى الرحمة، ثم إلى التعبية الإلهية كيف عُبيت تحت شهوة واحدة حياتان : حياة ظاهرة، وحياة باطنة.. فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله، فإنّه نوع من دوام الوجود. والحياة الباطنة هي الحياة الأخرويّة ؛ فإنَّ هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحركُ الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام» .

إنّ النكاح لدفع غائلة الشهوة وشرورها مُهمٌ في الدين لأنَّ الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرَّت إلى اقتحام الفواحش وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله

: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير» .

إنَّ الزوجة على التحقيق قوت، وسبب لطهارة القلب، ولذلك أمر رسول اللّه ﷺ كل من وقع نظره على امرأة، فتاقت إليها نفسه، أن يجامع أهله، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس .

والزوجة الصالحة ملاذ الزوج يأوي إليه بعد جهاده اليومي في مناكب الأرض طلباً للرزق ويركن إلى مؤانسته بعد كدِّه وجهده وسعيه ودأبه وكدحه.. يُلقي في نهاية مطافه بمتاعبه إلى هذا الملاذ.. إلى زوجته التي ينبغي أن تتلقاه فَرِحَةً مَرِحَة، طلقة الوجه، ضاحكة الأسارير.. يجد منها أذناً صاغية، وقلباً حانياً، وحديثاً رقيقاً حلوا يُخَفِّفُ عنه.. ويُذهب ما به. فالزوجة سكن لزوجها وهو سكنٌ لها.. يسكن إليها وتسكن إليه.. يَروي ظمأه الجنسي ويرويها في ظلال من الحب والمودة والطهارة، فيسكن القلب عن الحرام، وتسكن الجوارح عن التردي في حمأة الرذيلة والانزلاق في مهاوي الخطيئة .

- أما **الفائدة الثالثة** : فهي ترويح النفس، وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإنَّ النفس مَلولٌ، وهي عن الحق نفور، لأنه على خلاف طبعها، فلو كُلفت المداومة بالإكراه على ما يُخالفها جمحت، وإذا رُوِّحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت. وفي الإستئناس بالنساء ما يزيل الكرب، ويروِّح القلب، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ؛ ولذلك قال اللّه تعالى : ﴿ ليسكن إليها﴾(١). وكذلك الحال بالنسبة للزوجة. بشغل الطبخ، والكنس، والفرش، وتنظيف الأواني، وتهيئة أسباب المعيشة : فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده، إذ لو تكفل بجميع أعمال المنزل لضاع أكثر وقته، ولم يتفرّغ للعلم والعمل، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين لهذه الطريقة. قال ابو سليمان الدراني رحمة اللّه : «الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنّها تُفرغك للآخرة، وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً». وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله

---

١) الأعراف ١٨٩

تعالى: ﴿ربنا آتنا في الدُّنيا حسنة﴾(٢) قال : «المرأة الصالحة» فما أَرَقَّ وأروع هذه النظرة إلى المرأة الصالحة، فهي حسنة يسأل المؤمنون ربَّهم أن يُنعم عليهم بها .

- أما **الفائدة الرابعة** فهي مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية، والولاية، والقيام بحقوق الأهل، والصبر على أخلاقهن، واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن، وإرشادهن إلى طريق الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربية أولاده، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل والأجر والثواب .

وقد يشوب الحياة الزوجية شيءٌ من المتاعب بسبب الأولاد وأعباء المنزل، ولكنَّ المتزوج يشعر مع ذلك بالرضا والطمأنينة وإشباع النفس، في حين أن الأعزب غالباً ما يشعر بفراغ في حياته ونقصٍ في معيشته. وصدق من قال : إن الأعزب قد يكون ملكاً في شبابه، ولكنّه يصبح عبداً مسكيناً في شيخوخته. أما المتزوج فقد يكون عبداً في السنين الأولى من حياته الزوجية، بيد أنَّه عندما يهرم يجد نفسه ملكاً متوَّجاً في بيته، ولا يحس بالوحشة والعزلة التي يشعر بها غير المتزوِّج من المُسْنين !

ويقول الدكتور «هافلبرج» مدير مشفى الأمراض العقلية بنيويورك : «إن عدد الذين يدخلون المستشفيات العقلية نسبتهم عادة أربعة من غير المتزوجين إلى واحد من المتزوجين !» .

وتدل الإحصاءات التي قام بها «برتلون»، على أنَّ حوادث الانتحار بين غير المتزوجين أكثر منها بين المتزوجين، وأنَّ المتزوجين يتصفون عادة بالاتزان العقلي والخلقي، وحياتهم هادئة ولا يشوبها الشذوذ والسوداوية التي يتصف بها عدد غير قليل من غير المتزوِّجين. كما أنَّ النساء المتزوجات - مع ما يعانينه من متاعب الولادة والأمومة ومشاكل الحياة الزوجية والمنزل - غالباً ما يعمرن أطول من زميلاتهن اللواتي يقضين حياتهن عانسات !»(٣) .

جزاك اللّه خيراً أيها الصديق الطيب على هذه المعلومات القيِّمة.. لقد اقتنعت بكل كلمة قُلْتَها وسأنهض الآن للبحث عن الزوجة الصالحة .

---

٢) البقرة .

٣) لمزيد من التفاصيل انظر احياء علوم الدين للغزالي / كتاب آداب النكاح /ج٢ ص٢١ الى ص٣٦ وانظر كذلك الزواج الإسلامي السعيد / تحقيق محمد عثمان ص ١٥ - ٤٤ .

قضايا هامة لآدم وحواء

❑ أســـرار

سرُّك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره، وأمناء الأسرار أقل وجوداً من أمناء الأحوال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار، لأنَّ اجراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال، واجراز الأسرار أثقل من حمل الأحمال، فإن الرجل يستقل بالحمل الثقيل في حمله ويمشي به، ولا يستطيع كتم السر وإن الرجل يكون سرُّه في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الأثقال، فإذا أذاعه استراح قلبه، وسكن خاطره، وكأنما ألقى عن نفسه حملاً ثقيلاً(١) .....» .

وكم من إظهار سرٍ أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتمه أمن من سطوته.. وكان الفاروق يقول : «ما أفشيت سرِّي إلى أحد قط فأفشاه فلمته إذ كان صدري به أضيق» وقال أحد الشعراء :

اذ المرء افـــشى ســـره بلســـانه
ولام عليـــه غـــيـــره فـــهـــو أحـــمق
اذا ضـــاق صـــدر المرء عن ســـر نفســـه
فـصـدر الذي يسـتـودع السـر أضـيق

هذا الحديث العام عن قدسيّة الأسرار له أهميته البالغة بصورة خاصة في مجال الحياة الزوجيّة وما يدور بين الرجل وأهله فقد رهَّب النبي صلى اللّه عليه وسلم من

---

١) الامام علي رضي اللّه عنه

أن ينشر أحد الزوجين سر صاحبه فقال عليه السلام : ﴿**إنَّ من شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثمَّ ينشر أحدهما سرَّ صاحبه**﴾(١) وفي حديث آخر عن أسماء بنت يزيد رضي اللّه عنها أنّها كانت عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال :لعلَّ رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعلَّ امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرمَّ القوم – سكتوا من خوف –، فقلت : إي واللّه يا رسول اللّه إنهم ليفعلون وإنَّهنَّ ليفعلن ؟ قال : فلا تفعلوا، فإنَّما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها – واقعها –، والناس ينظرون(٢)» رواه احمد .

يُبيِّن النبي صلى اللّه عليه وسلم ما للحياة الزوجية من قداسة وخصوصية ويحذر من خطورة إفشاء أسرارها ويحرِّم على الأزواج التحدث إلى الآخرين بما يدور بينهم لأن إفشاء أسرار الحياة الزوجية من سوء الأدب ومن اللغو الذي يجرُّ إلى المهالك والردى .

وقد مدح القرآن الصالحات بأنهن قانتات مطيعات حافظات للغيب بما حفظ اللّه «فالصالحات قانتات، حافظات للغيب بما حفظ اللّه»(٣) أي حافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ويجمل ستره كما قاله بعض المفسرين .

إنَ إفْشاء أسرار الحياة الزوجية وخاصة التحدث عمَّا يجري في الفراش بين الرجل وأهله من الفرص التي يستغلها إبليس اللعين.. العدو المبين للموحدين.. فعندما يتحدث الرجل مثلاً عن إتيانه زوجته وعن جمالها ويُفصِّل في افشاء أسرار ما يدور بينه وبين أهله فإن إبليس يوسوس للسامع بأنَّ هناك فرقاً كبيراً شاسعاً بين زوجته وزوجة المتحدث وحتى يصل إليها لا بد من نصب شباك الحيل للوصول إليها إما بقتل زوجها أو على الأقل إغوائها والزنا بها والعكس صحيح كذلك فحين تتحدث الزوجة عمَّا يدور بينها وبين زوجها في الفراش وتُفصل في الأمر فإنَّ إبليس يهمس ويوسوس للمستمعة أو المستمعات بأن هذا هو الزوج الناجح فيكون السعي الحثيث على إغوائه وإغرائه للحصول على المتعة التي وصفتها زوجته وكثيراً ما

---

١) رواه مسلم وابو داود وغيرهما
٢) رواه أحمد .
٣) النساء ٣٤

ينجح الشيطان وجنوده في هذا التزيين فتنهدم البيوت وتتقطع الأواصر وتسفك الدماء وتشيع الفاحشة فمعظم النار من مستصغر الشرر والبعوضة قد تدمي مقلة الأسد .

إن للسر حرمة ومن حرمة السر أن لا يُقال أو يُذاع وأعظم الأسرار حرمة الأسرار التي تخص الحياة الزوجيّة واللبيبُ من الاشارة يفهم !!!

❑ الحصون المنيعة

يجب على الزوجة طاعة زوجها إذا دعاها إليه ولم يكن بها عذر وامتناعها عن ذلك كبيرة تستوجب سخط اللّه عليها ولعنات ملائكته : قال صلى اللّه عليه وسلم : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشهِ فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»(١) وفي رواية للشيخين : «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح» وفي رواية أخرى : «والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلاّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» .

هذه الأحاديث الشريفة تدلُّ على تحريم امتناع الزوجة من فراش زوجها لغير عذر شرعي وليس الحيض بعذر في الامتناع إذْ يحل للزوج من زوجته في حالة الحيض وكذا النفاس مباشرتها ما عدا ما بين السرة والركبة والمقصود بالمباشرة اللمس والقبلة فعن عائشة رضي اللّه عنها : «أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يأمر إحدانا إذا كانت حائضاً أن تأتزر ويباشرها فوق الإزار» .

والأحاديث التي تُحرِّم على الزوجة الإمتناع من فراش زوجها تدلُّ على أنَّ اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش. والمرأة التي تفهم حقوق الزوجيّة تُلبي طلب زوجها مهما كانت في عمل لأنَّ تلبية زوجها أولى بل إن تلبية طلب زوجها من الواجبات عليها..

قال صلى اللّه عليه وسلم : «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإنْ كانت على التنور – المكان المحمي الذي يُخبز فيه –»(٢) .

---

١) متفق عليه .
٢) رواه الترمذي والنسائي .

إنَّ هذه القضية في غاية الأهمية لأنها تشكل الحصن المنيع الذي يحمي الزوجة أولاً ثم الزوج ثانياً لأن الزوجة حين تمتنع من فراشه فإنها تُمهد الطريق إلى الشيطان كي يوسوس له بإشباع غريزته عن طريق الحرام ولهذا شدد الإسلام الكثير عليها إنْ هي هجرت فراش زوجها دون عذر شرعي .

وفي هذا الباب نُنوه إلى أنَّه يحرم صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلاّ بإذنه لخبر الصحيحين : «لا يحلُّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلاّ بإذنه» لأن حق الزوج فرض فلا يجوز تركه لنفل. وعلم الزوجة برضى زوجها كإذنه ولكن إذا أراد التمتع بها تمتع وفسد صيامها .

وأما بالنسبة لحق المرأة على الرجل في هذا المجال فإن الإمام الغزالي يقول(١) : «ينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل، إذا عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد، نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين، فإن تحصينها واجب عليه..» ... ولا ينبغي للزوج أن يقلل عليها حتى تتضرر ولا يكثر عليهاحتى تمل .

هذا هو الإسلام.. دين الصراحة والوضوح والمنطق.. الدين الذي لا يسمح بظهور المشكلات ليعالجها بل يضع الحصون المنيعة التي تكفل السلامة والصحة والعافية وتمنع الأمراض من الظهور في المجتمع الإسلامي .

إنَّ الجهل بهذه القضايا الحساسة الدقيقة هي السبب الرئيسي في هدم كثير من البيوت على رؤوس أصحابها.. فهل الخلل في الإسلام أم أنَّ الخلل فينا نحن لجهلنا إسلامنا ؟!

الإسلام دين الكمال والجمال والبهاء والجلال والنقاء والشمول، والخلل في أنفسنا لأننا لا نعرف عظمة ديننا .. ولأننا نجهل الإسلام نُعاديه وبذلك نعلن الحرب على ذواتنا. ولا عذر لنا أننا لا نعرف في الإسلام إلا إسمه ومن القرآن إلاّ رسمه. لا عذر لنا البتَّة لأن كتاباً واحداً كرياض الصالحين للإمام النووي يحي كلَّ هذه الكنوز ولكن شبابنا انشغلوا بكرة القدم، وفتياتنا انشغلن بالأزياء والغناء والموضة.. فكان الشقاء والبؤس والخسران هو الحصاد .

---

١) احياء علم الدين ج٣ ص٥٠ .

علينا أن ندرك هذه الحقائق لنعود إلى مجدنا وعزّنا فتتغير أحوالنا لحظة تغييرنا ما بأنفسنا : ﴿إنّ اللّه لا يُغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم﴾(١) .

❑ غض البصر

لقد أمر اللّه المؤمنين والمؤمنات بالغض من أبصارهم عن النظر المحرم لأن النظر بريد الزنا فقال تعالى :

﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن اللّه خبير بما يصنعون﴾ النور ٣٠

والأمر في الآية يعمّ الرجال والنساء ثم خصّ المؤمنات بالأمر بالغض من أبصارهن وحفظ فروجهن وعدم ابداء زينتهن للأجانب فقال تعالى : ﴿وقلْ للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...﴾ النور ٣١. وقال تعالى : ﴿إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾ الإسراء ٣٦. فأخبر تعالى أن الإنسان مسئول عمّا يسمعه أو يبصره أو يكنّه ضميره هل هو حلال أم حرام فليعد الإنسان لهذه الأسئلة جواباً صريحاً صحيحاً عن طريق محاسبة نفسه فيما يسمعه أو يبصره أو يفكر فيه

فكما يجب على الرجل أن يغض بصره عن النساء فكذلك المرأة يجب عليها أن تغض بصرها عن الرجل عن غير محارمها لغير حاجة أو ضرورة فالنظرة سهم مسموم من سهام ابليس وكل الحوادث مبدؤها من النظر والعين تزني وزناها النظر.. وقال أحد الحكماء : القلب مثل بيت له ستة أبواب ثم قال : احذر ألا يدخل عليك من أحد الأبواب شيء فيفسد عليك البيت، والأبواب هي العينان واللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان فمتى انفتح بابٌ من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت. وفرض اللسان الصدق في الرضا والغضب وكف الأذى. وفرض البصر الغض عن المحارم وترك التطلع فيما حُجب وسُتِر .

وفرضَ السمع تبع للكلام والنظر فكل ما لا يحل لك الكلام فيه والنظر إليه فلا يحل استماعه ولا التلذذ به والبحث عَمَّا كُتم عنك تجسس ..... » .

---

١) الرعد ١١ .

وفي غض البصر منافع كثيرة وفوائد عديدة منها :

- أنه امتثال لأمر اللّه الذي هو غاية سعادة العبد في الدنيا والآخرة .
- أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي ربما كان فيها الهلاك .
- أنه يورثُ القلب نوراً وإشراقاً كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة تظهر في الوجه والجوارح .
- وغض البصر يُخلِّص القلب من ألم الحسرة فإن من أطلق بصره دامت حسرته .
- أنه يورث صحة الفراسة الصادقة التي يميز بها بين الصادق والكاذب .
- أنه يفتح - لمن يغض بصره - باب العلم والإيمان والمعرفة باللّه وأحكامه .
- ان غضّ البصر يورث القلب ثباتاً وشجاعة .
- انه يورث القلب سروراً وفرحاً وحلاوة أعظم من اللذة الحاصلة بالنظر .
- أنهُ يخلِّص القلب من أسرار الشهوة فإن الأسير هو أسير هواه وشهوته .
- أنه يفرّغ القلب للتفكر في مصالحه والاشتغال بها، واطلاق البصر يشتت عليه ذلك .

ان غض البصر يقوّي العقل ويزيده ويثبته وإطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلاّ من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب . قال الشاعر :

وأعـقل الناس من لم يرتكب عـمـلاً
حـتى يفكر مـا تجني عـواقـبـه

وغض البصر يُخلِّص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، واطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن اللّه والدار الآخرة . وفوائد غض البصر وآفات إرساله أكثر من أن تُحصى والحر تكفيه الإشارة(١) .

❑ التعاون المثمر

ما أحوجنا إلى لحظات الأُنس باللّه والقرب من رحمته والشكر له سبحانه على نعمه واغتنام أوقات إجابة الدعاء إليه والفوز بكراماته وعطاياه ..

---

١) انظر روضة المحبين لابن القيم ص ٩٠ - ٩٥ والجواب الكافي له ص٢٠٥ :

هذه الحاجات يكرم اللّه بها أهل طاعته من المحسنين المتقين الذين وصفهم بقوله : ﴿إنَّ المتقين في جنّات وعيون × آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك مُحسنين × كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون × وبالأسحار هم يستغفرون×وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذّريات ١٥ - ١٩ .

إن صلاة التهجد سعادة، وهي ثمرات دوحات نبتت في قلوب المتقين فأزهرت صحة القلب وصحة البدن ونيل المطالب وقد عدّ النبي صلى اللّه عليه وسلم قيام الليل شرفاً وسيادة وعلو نفس طماعة إلى كسب المعالي وجني ثمار المحامد .

إنَّ صلاة التهجد في ظل الحياة الزوجية لها من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم للزوجين وصيّة :

«رحمَ اللّه رجلاً قام من الليل فَصلّى، وأيقظ امرأته فإنْ أَبَتْ نضح - رَشَّ - في وجهها الماء، ورحم اللّه امرأة قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء» رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم .

يدعو النبي صلى اللّه عليه وسلم لمن استيقظ ليتهجد فيوقظ زوجته بالرحمة والخير والبركة والرضوان، فإذا فتر الصديق أو كسل عن اليقظة أتى الآخر بقليل من الماء ورشّه على وجهه ليزول نومه ويبعد كسله ويملك شعوره، ويتعاونان على طاعة اللّه. وقد دعا صلى اللّه عليه وسلم أيضاً للزوجة إنْ استيقظت للعبادة وأيقظت زوجها النائم للتهجد.. دعا لها بالرحمة والبركة وإن كسل الزوج عن القيام رشت على وجهه قطرات من الماء .

إنّها التربية العظيمة من الرسول العظيم صلى اللّه عليه وسلم بالتعاون على طاعة المولى سبحانه.. هذا التعاون الذي يُثمر رضى اللّه ومحبة اللّه ورحمة اللّه .. ويثمر الثقة والإطمئنان بين الزوجين فتحلو الحياة ويدوم العيش الرغيد وترفرف السعادة بين الزوجين المتآلفين فيظلهما اللّه في ظل عرشه لأنهما تحابّا في اللّه .. اجتمعا عليه وتفرّقا عليه» .

هذه الصورة من صور التعاون المثمر لكل خير رحلت من عالمنا لأننا قليلاً من الليل ما نهجع، ليس من الطاعات، وإنمّا في مشاهدة الشاشات التي تبثُّ

المسلسلات فلا نستيقظ لصلاة الفجر فضلاً عن الاستيقاظ للتهجد والتفكر في آيات اللّه والإستغفار والدعاء في لحظات وساعات الإجابة .

سنقفُ لنُسأل أمام اللّه عن أعمارنا وأوقاتنا وشبابنا فبماذا نُجيب وقد أفنينا الأعمار في الجلوس أمام الشاشات نشاهد المنكرات ونرى الرقصات ونسمع للقانيات والمغنيات ! .

لا بُدَّ من لحظة تأمُّلٍ نخلو بها إلى أنفسنا نحاسبها قبل أن نُحاسب في يوم يجعل الولدان شيبا .. في يوم تذهل فيه المرضعة عن ابنها الذي التقم ثديها وتضع كل ذات حمل حملها .

لا بُدَّ لنا – رجالاً ونساءً – من التوبة والعودة والإنابة إلى اللّه .. إلى أفياء رحمته ومغفرته وهو سبحانه يفرح(١) بتوبة عبده حين يتوب إليه أشد من فرح العبد يجد بعيره وقد أضلّه في أرض فلاة(٢) .

و «من تاب قبل أن تطلع الشمسُ من مغربها تاب اللّه عليه» رواه مسلم .

إنها رحمة اللّه تعالى بعباده بقبول توبتهم، وحبه إياهم :

«أنّ اللّه يحب التوابين ويحب المتطهرين» .

فنسأل سبحانه أن يسلكنا في سلك هؤلاء ويجعلنا منهم .

❑ الآفة المهلكة

الغيبة من الأخلاق الذميمة التي حرّمها الإسلام. وعندما سُئل النبي صلى اللّه عليه وسلم : أي المسلمين خير ؟ قال : «من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه مسلم .

وقد أمرنا اللّه باجتناب الغيبة «ولا يغتب بعضكم بعضا» أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب تعالى للغيبة مثلاً فقال : «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه» .... قال أبو زيد السهيلي : «ضرب المثل بطعن العرض بأكل اللحم، لأنّ اللحم يستر على العظام، والشاتم لأخيه كأنّه يقشر

---

١) بمعنى يرضى سبحانه وتعالى .

٢) اشارة إلى حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم المتفق عليه .

ويكشف ما عليه من ستر، وقال اللّه تعالى : «ميتاً» لأن الميت لا يحس، وكذلك الغائب لا يسمع ما يقوله فيه المغتاب ....». ومن أشد أنواع الربا استطالة المسلم في عرض المسلم بغير حق» رواه أحمد وابو داود .

فإن قيل ما الغيبة ؟ قيل قد بيَّن النبي صلى اللّه عليه وسلم معناها بقوله : «أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم، قال : ذكرك أخاك بما يكره، قال «أحدهم» : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه» رواه مسلم. وتكون الغيبة بالتعريض وبالكناية وبالحركة وبالرمز والإشارة باليد وكل ما يُفهم منه المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام. فقد روى ابو داود والترمذي وصححه قول «عائشة» عن «صفيّة» أنها قصيرة وأن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال لعائشة : «لقد قلتِ كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمزجته» .

وقد رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ليلة الإسراء قوماً يأكلون الجيَفْ وعندما سئل عنهم أجابه جبريل عليه السلام بأنهم الذين يأكلون لحوم الناس .

فالغيبة عادة مرذولة، كثيراً ما تقْطع الصلة بين الناس، وتثير الأحقاد، وتشتت الشمل، ثم هي مع ذلك مضيعة للوقت بالاشتغال بما يضر الإنسان، ولا ينفعه، لذا يجب الإنكار على المغتاب وردعه إذ يحرم سماع الغيبة ولقدأمر اللّه سبحانه وتعالى منْ يسمع الغيبة أن يردها ويُذكِر المغتاب بحرمة قوله فإن لم يقبل نصحه فعليه – السامع – مفارقة مجلس السوء، يقول تعالى : ﴿**وإذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإمّا يُنسيَّنك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾ الانعام ٦٨ .

إنّ خطر اللسان عظيم ليس كغيره من الأعضاء فإنّ العين لا تصل إلى غير الألوان والصُّور، والأذن لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام، واللسانُ يجولُ في كل شيء وبه يتبين الإيمان من الكفر، فلا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه.. وقد يتكلم الإنسان كلمة ما يتبين ما فيها يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب كما أخبر الصادق المصدوق صلى اللّه عليه وسلم .

فالغيبة من آفات اللسان ومن الذنوب التي قلَّ من يسلم منها كالكذب والرياء والمراهنة. والخطر يكمن في أنها من الذنوب المتعلقة بحقوق العباد فهي جناية على أعراض الناس وهم غافلون والمغتاب يقع في جنايتين :

الأولى : على حق اللّه، فكفارة ذلك التوبة والندم .

والثانية : على محارم المخلوقين فإن كانت الغيبة قد وصلت إلى الذي اغتيب جاء المغتاب واستحلله وأظهر له الندم على فعله، وإن كانت لم تبلغه يستغفر له بدل الاستحلال حتى لا يوغر صدره بما لا يعلم .

وإذا ترتَّب على الغيبة مصلحة أو درء مفسدة تكون لازمة وإذا ترتب عليها أمر جائر فجائرة فلا تكون الغيبة مباحة إلاّ إذا أدّت غرضاً شرعياً صحيحاً ولا يمكن الوصول إلى هذا الغرض الشرعي إلاّ بها وقد بيَّن العلماء هذه الأغراض التي تجعل الغيبة مباحة وهي :

- الظلم، فإنّ للمظلوم أن يذكر الظالم لكي يستوفي حقه .
- الاستعانة على تغيير المنكر وردع الظالم عن ظلمه لمن يظنُّ أنّ له قدرةً على ازالته، فإنّ له أن يقول أنّ فلاناً ارتكب كذا وفعل كذا .
- الاستفتاء : مثل أن يقول المستفتي للمفتي، إن فلاناً ظلمني في كذا وكذا، فهل يجوز له ذلك وما حال والعمل ؟ .
- التحذير : تحذير المسلمين من الشر ونصحهم فيصح أن يبيّن النقائص والعيوب في إنسان ما ليحذر منه .
- أن يكون معروفاً بلقب كالأعرج فلا إثم على من يذكره به على سبيل التعريف .
- أن يكون مجاهراً بفسقه كالمجاهرة بالخمر حين يشربها .
- ولا بد من الحديث عن الأسباب الباعثة على الغيبة لتجنّبها والبعد عنها وهي :

١ – تشفّي الغيظ بذكر مساوئ الموقوع في عرضه بالغيبة قولاً أو فعلاً .

٢ – موافقة الأقران والزملاء ومساعدتهم فإذا كانوا يتفكهون في الأعراض يساعدهم ويعتبر ذلك من حُسن المعاشرة .

٣ – ارادة المغتاب رفع نفسه بتبغيض الناس في من يغتابه .

٤ – المبادرة باغتياب من يتوقع أن يغتابه ليكون البادىء في الطعن والهجوم .

٥ – الحسد .

٦ – اللعب والهزل والمزاح لإضحاك الناس .

٧ – السخرية والاستهزاء بالآخرين وانتقاصهم واحتقارهم .

٨ – إظهار الغضب للّه على منكر قارفه انسان فيذكرُ الإنسان باسمه وكان الواجب نصحهُ بدل الغيبة .

نسأل اللّه أن يرزقنا حفظ جوارحنا عن المعاصي ما ظهر منهاوما بطن وأن يُنَقِّ قلوبنا من الحقد والحسد والإحن .

❑ الكذب المباح

الصدق يُدخِل صاحبه الجنة والكذب يُدخل صاحبه النار.. الصدق يُنجي ويدعو إلى حسن الخاتمة يزيد المسلم نوراً وثباتاً على الحق ويدل على فطرة سلمية وخليقة مستقيمة والكذب رأس المآثم لأنه يجرُّ صاحبه إلى اقتراف الذنوب التي تحرمه من رحمة اللّه ومن رؤية جلاله .

يقول الشاعر في ذمِّ الكذب :

لا يكذب المرء إلاّ من مـــهـــانتـــه
أو فـــعله الســـوء أو من قلّة الأدب
لبـعض جـيـفـة كلب خـيـر رائحـة
من كـــذبة المرء في جـــدّ وفي لـعب

هذه حقائق لا يختلف فيها اثنان ولكنَّ الأمر الملفت للنظر أن الإسلام أباح الكذب في الحرب، والاصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها. قال صلى اللّه عليه وسلم : «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، فَينْمِي خيراً أو يقول خيراً» متفق عليه وفي رواية مسلم زيادةً قالت – رواية الحديث – : «ولم أسمعه يُرَخص في شيء ممّا يقـوله الناس إلاّ في ثلاث : تعني الحـرب، والإصـلاح بين

الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها» وهذه الجملة الأخيرة هي التي تهمّني وأنا في سياق الوصايا إلى المرأة المسلمة وإن كانت الوصايا جميعها في الواقع تهمّ الرجل المسلم بنفس القدر إنّ الإسلام يحرص كل الحرص على دوام العشرة الزوجية ولهذا أباح للرجل وللمرأة الكذب في حديث أحدهما إلى صاحبه لعظم المصالح المترتبة على دوام واستمرار الحياة الزوجية لأن انهدامها يعني دمار الأسرة فليقل الرجل لزوجته على سبيل المثال : «لا أحد أحبُّ إليَّ منك» ولْتقل هي له : «لا أحد أحبُّ إليَّ منك» ولتستمر سفينة الأسرة في رحلتها إلى بر الأمان وشواطيء السلام فببركة الحرص على ديمومة العشرة يقذف اللّه بالمحبة في القلوب وتتحول جملة المجاملة إلى جملة واقع والحقيقة والحق والصدق .

تخيّلوا وتأمّلوا رجلاً يسأل زوجته أتحبه أم لا ؟ فيكون الجواب على هذا السؤال : «لا» .. وتصوّروا امرأة تسأل زوجها نفس السؤال ويكون الجواب : «لا» ؟!

إنّ « لا» هذه أشد على الزوج أو الزوجة من طعنه برمح سام.. إنّها تقتل بغير سلاح وتفتك بالنفس والوجدان وتحطم روح الإنسان فلماذا لا يكون الجواب من الرجل لزوجته : أحبكِ حب الطيور السفر وحب رمال الصحاري المطر.. على سبيل التفاؤل بالخير وانقشاع الغيوم التي تكدّر صفو الحياة والعشرة بين الرفيقين ولماذا لا يكون الجواب من المرأة لزوجها : أحبك حبَّ الأزاهر شمس الصباح وحب الليالي لضوء القمر لكيْ تحبّره بالكلمة الحانية إلى نقش إسمها ورسمها في فؤاده وكل خليّة من خلاياه ..

يا ليتنا – رجالاً ونساءً – نفهم الإسلام ونفقه وصايا الحبيب المصطفى ونتأسى بسيرته ونسير على دربه صلى اللّه عليه وسلم وبذلك تُرفرف رايات السعادة في حياتنا ومجتمعاتنا فنصل إلى صدق القول، وصدق النيّة والإرادة، وصدق العزم، وصدق الوفاء بالعزم، وصدق العمل، وصدق تحقيق مقامات الدين كلها فيكتبنا اللّه من الصديقين ومن أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

خاتمة المطاف

❑ **في خاتمة المطاف نرفع أكف الضراعة إلى اللّه بالدعاء :**

اللّهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام، وعلمتنا الحكمة والقرآن، ولك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة، حيث أنزلت إلينا خير كتبك، وأرسلت إلينا أفضل رسلك، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك، الذي ليس به التباس، واكرمتنا بالإسلام خير لباس .

اللهم يا سامع الصوت ويا كسيَ العظمَ لحماً بعد الموت لا تدع لنا ذنباً إلاّ غفرته ولا همّاً إلا فرّجته ولا حاجة من حوائج الدنيا والأخرة إلاّ أعنتنا على قضائها بيسر منك وعافية مع المغفرة .

اللّهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها .

اللهم إنّا نسألك حُبَّك وحبَّ من يحبك، وحبَّ العمل الذي يقرّبنا إلى حُبِّك .

اللّهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، واهدهم سبل السلاَّم، وجنِّبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واجعلهم شاكرين لنعمتك مثنين عليك .

اللهم يا عزيز، يا حكيم، يا ودود، يا رحيم، نسألك أن تجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك، ونسألك أن تجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وارحم في موقف العرض عليك ذلَّ مقامنا، وجوهنا

يوم تبيضُّ وجوه، وتسْودُّ وجوه .

اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءُوا استغفروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا ابتليتهم صبروا .

اللّهم إنّا نسألك ايماناً يُباشر قلوبنا حتى نعلم أنّه لا يصيبنا إلاّ ما كتبت لنا، ورضّنا من المعيشة بما قسمت لنا .

اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا، وقلوبنا وأزواجنا وذرّيتنا وتب علينا أنّك أنت التواب الرحيم .

اللهم اغننا بالعلم، وزيّنا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى وجمّلنا بالعافية .

اللّهم الطف بنا في تيسير كل عسر فإنّ تيسير كل عسير عليك يسير .

اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليّها ومولاها .

يـا رب :

أســـيـــر الخطايا عندَ بابك يقـــرعُ
يخـاف ويرجـو الفـضل فـالفـضل أوسعُ
مُـــقِـــرٌّ بأثقـــال الذنوب ومُكثـــر
ويرجـوك في غـفـرانهـا فـهـو يطمَعُ
فـإنك ذو الإحســـان والجـود والعطا
لك المجـد والإفـضـال المنُّ أجـمعُ
فكم من قـبـيح قـد سـتـرت عن الورى
وكم نِعَمٌ تتـــرى علينا وتتـــبَعُ
ومن ذا الذي يُرْجى ســواك ويُتـقى
وأنت إلهُ الخلقِ مـــا شـــئت تصنع
فـيـا من هُوَ القُـدُّوسُ لا ربٌّ غـيـره
تبـــاركت أنت اللهُ للخلق مـــرجِعُ
ويا من على العرش استوى فوق خلقه
تبـــاركت تُعطي من تشـــاء وتمنَعُ

بأسمائك الحسنى وأوصافِك العُلى
توسَّل عبدٌ بائسٌ يتضرَّع
أَعِنّي على الموت المريرة كأسه
إذا الروح من بين الجوانح تُنْزعُ
وكنْ مؤنسي في ظلمة القبر عندما
يُركَّمُ من فوقي الترابُ وأُودَعُ
وثبِّت جناني للسؤال وحجَّتي
إذا قيل من ربٌّ ومن كنت تتبَعُ
ومن هول يوم الحشر والكرب نجّني
إذا الرُّسْلُ والأملاك والناس خُشَّعُ
ويا سَيِّدي لا تُخزني في صحيفتي
إذا الصُّحفُ بين العالمين تُوَزَّعُ
وهب لي كتابي باليمين وثقِّلَنْ
لميزان عبدٍ من رجائِكَ يطمعُ
ويا ربِّ خلِّصني من النار إنَّها
لبئس مقرٌّ للغواة ومرجِعُ
أجِرْني أجرني يا إلهي فليس لي
سواك مفرٌّ أو ملاذ ومفزعُ
وأزكى صلاة اللّه ثمَّ سلامه
على المصطفى منْ في القيامة يشفعُ

سبحانك اللّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلاّ أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

الفهـــرس

تمهيد ..... ٥ – ٦

الصفات المرغوبة في الزوجين ..... ٧ – ١٦

- الصفات الخَلْقية ٧
- الصفات الخُلُقية ١١

حقوق وواجبات الزوجين ..... ١٧ – ٢١

- حقوق حواء على آدم ١٨
- حقوق آدم على حواء ٢٠

مفاتيح ذهبية إلى قلب حواء ..... ٢٢ – ٦٥

- العودة إلى عش الزوجية ٢٢
- عذوبة الخطاب ولطافة النداء ٢٣
- الإيناس والتسلية ٢٨
- الترويح والملاعبة ٣٧
- التعاون المنزلي ٤٦
- التشاور ٤٨
- التزاور ٥١
- آداب السفر ٥٥
- الإنفاق ٥٩
- التطيب والتزين ٦٢

حواء في الحضارات الأخرى ..... ٦٦ – ٧٢

قضايا جنسية ..... ٧٣ – ٧٦

لماذا يحتاج آدم إلى حواء ..... ٧٧ – ٨١

قضايا هامة لآدم وحواء ..... ٨١ – ٩٢

خاتمة المطاف ..... ٩٣ – ٩٥

الفهرس ٩٦

obeikan.com